

الإسلام كما يتجلى في كتاب الله

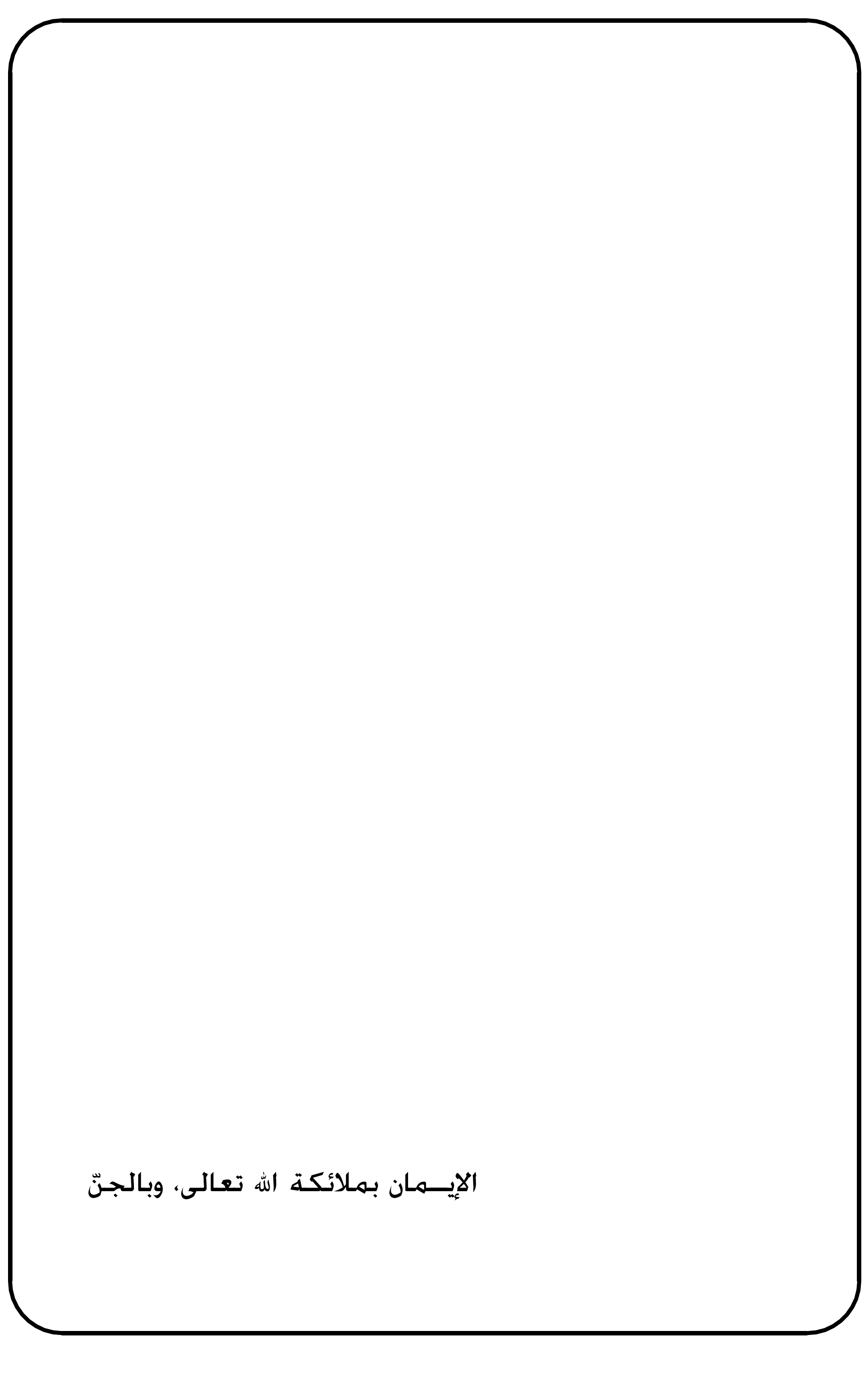
الكتاب الرابع

الإيمان بملائكة الله تعالى، وبالجن

تأليف
علي باپير

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقّحة

دار الحكمة
لندن



الإيـــمان بملائكـة الله تعـالى، وبالجـنّ

بسم الله الرحمن الرحيم

ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر

إعلام مكتب الأمير

Ameer's Press Office



موسوعة: الإسلام كما يتجلى في كتاب الله

الكتاب الرابع

ا يــمان بملائكة اللّه تعالى، وبالجنّ

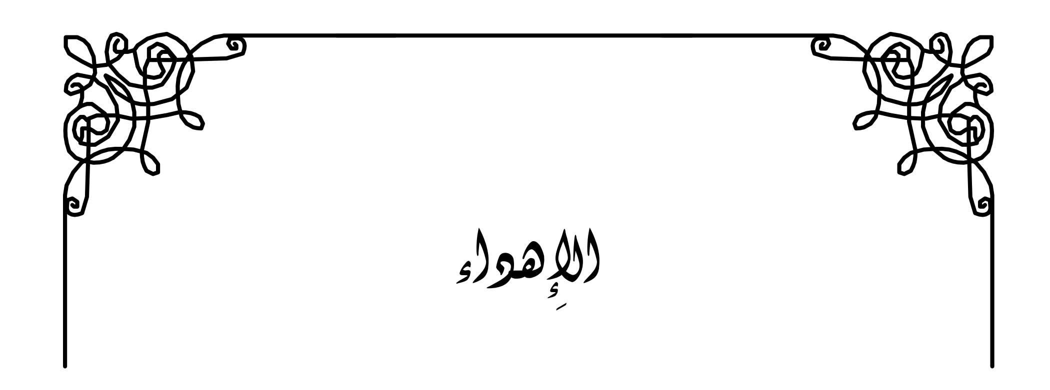
تأليف
علي باپير

الطبعة الثانية
١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الشورى: ٥].

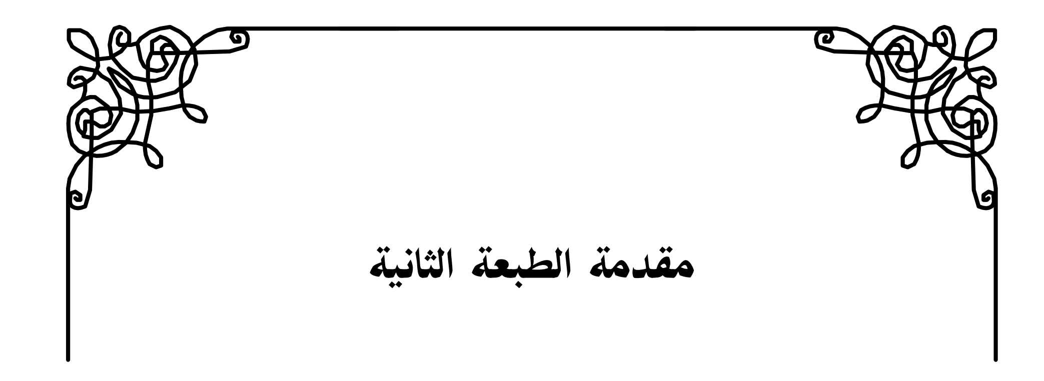

ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر
إعلام مكتب الأمير
Ameer's Press Office
/AliBapir
/AliBapir
/MediaAmeerOffice



الإهداء

إلى الذين يبتغون فقه الإِسلام بعمقٍ وشمولٍ، كما في كتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم ﷺ لِيُجَسِّدُوه في حياتهم الشخصية والأُسَريَّة والعامة، ابتغاء رضوان الله سبحانه وتعالى.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله العلي القدير، والصلاة والسلام على النبيِّ البشير النذير، محمد وآله الكرام «صحباً وأزواجاً وقرابةً» الذين هم جديرون بكل تكريم وتقدير.

وبعد، فقد ارتأينا إعادة طبع هذه الموسوعة: (الإسلام كما يتجلى في كتاب الله)، بعد طبعتها الأولى، **(في صورة كتاب في ثمانية مجلدات «موزَّع على أربعة أبواب وسبعة عشر فصلاً»)** في سلسلة كتب مجموعها: اثنا عشر كتاباً، كل كتاب يحتوي على موضوع رئيسي.

والنتيجة:

أصبح توزيع مواضيع الكتاب على الكتب الإثني عشر، في هذه الموسوعة، على الشكل الثاني:

الباب الأول بفصوله الأربعة، والمعنون: **(الإسلام: معرفة صحيحة بالخالق والخلق)** بقي كما هو، وصار:

الكتاب الأول، في هذه الموسوعة.

الباب الثاني بفصوله الستة، والمعنون: **(الإسلام: إيمانٌ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر)** تحول في هذه الموسوعة الى سبعة كتب، كل كتاب مُخصَّصٌ لبحث موضوع أساس من مواضيع الإيمان، وذلك بعد أن جعلنا الفصل الخامس: **(الإيمان برسل الله وأنبيائه)** فصلين، ففي الأول

منهما: بحثنا موضوع الإيمان بالرسل والأنبياء «عليهم السلام» عموماً، وفي الثاني منهما، تحدَّثنا عن خاتم النبيين «ﷺ» خصوصاً، فصار الباب الثاني في هذه الموسوعة بهذه الصورة:

الكتاب الثاني: مفهوم الإيمان والكفر...

الكتاب الثالث: الإيمان بالله سبحانه وتعالى...

الكتاب الرابع: الإيمان بالملائكة وبالجن.

الكتاب الخامس: الإيمان بكتب الله سبحانه وتعالى.

الكتاب السادس: الإيمان برسل الله وأنبيائه «عليهم الصلاة والسلام».

الكتاب السابع: خاتم النبيين محمد «ﷺ».

الكتاب الثامن: الإيمان باليوم الآخر.

الباب الثالث بفصوله الثلاثة، والمعنون: **(الإسلام: إلتزام جادّ بالشريعة على الصعيدين الفردي والجماعي)** تحول في هذه الموسوعة الى ثلاثة كتب، بالصورة التالية:

الكتاب التاسع: الإهتداء بهدى الله تعالى..

الكتاب العاشر: إلتزامُ المجتمع بدين الله تعالى...

الكتاب الحادي عشر: تطبيق المجتمع للشريعة...

الباب الرابع بفصوله الأربعة، والمعنون: **(الإسلام: نظرة سديدة تجاه الناس، وتعاملٌ صحيح معهم)** بقي على حالِهِ، وصار الكتاب الثاني عشر والأخير، في هذه الموسوعة بالشكل التالي:

الكتاب الثاني عشر: الإسلام: نظرة سديدة تجاه الناس، وتعامل صحيح معهم.

وقد راعينا في ترتيب هذه الكتب الإثني عشر «في ثلاثة وستين (٦٣) فصلاً» التسلسل المنطقي المتدرج: إذ الإنسان يحتاج قبل كل شيءٍ، المعرفة

بهذا الوجود، ومحلِّهِ هو في إعرابهِ، فجاء الكتاب الأول: بعنوان: (الإسلام: معرفةٌ صحيحة بالخالق والخلق) تلبيةً لهذا المطلبِ الفطريِّ الأول.

ثم تُنْتِجُ المعرفةُ الصحيحة بالوجود ـ طالما التزم صاحِبُها بمقضياتها المنطقية ـ الإيمان بالله الخالق الرب المالك، وببقية أركان الإيمان الخمسة، فجاءت الكتب: الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن، تحت عنوان: (الإسلام: إيمانٌ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) تحقيقاً لهذا المقصد العظيم، وبياناً لتلك الحقائق الكبرى، التي وضعَ فيها كتاب الله الحكيم النقاط على الحروف، ولم يُحْوِجْنا في إدراكها الى غيره.

ثم ان الإيمان الصحيح بالله تبارك وتعالى، وببقيَّةِ أركان الإيمان الأساسية، يدفعنا الى الإلتزام بدين الله القيِّم، وشريعته الحكيمة، فجاءت الكتب: التاسع والعاشر والحادي عشر، تحت العنوان العام: (الإسلام: إلتزامٌ جادٌّ بالشريعة على صعيدي: الفرد والمجتمع) لتوضيح كيفية التزام الفرد والمجتمع والدولة بالشريعة السّمحاء، بهذه العناوين الثلاثة، للكتب الثلاثة:

١ ـ الإهتداء بهدى الله، أو الإلتزام الفردي بشريعة الله تعالى.

٢ ـ إظهار الدين الحق، أو التزام المجتمع بدين الله تعالى: فكراً وشعائرُ وآداباً.

٣ ـ تطبيق المجتمع للشريعة في جميع جوانب الحياة.

ثم أخيراً: بعد المعرفة الصحيحة، والإيمان الراسخ، والإلتزام الجاد بالشريعة، بإمكان المسلمين: أفراداً ومجتمعاً ودولةً، أن يتعاملوا مع الناس: المسلمين وغير المسلمين، على أساس النظرة السَّديدة إليهم، بصورة شرعية صحيحة، بعيدة عن الإفراط والتفريط، وبيان هذا الموضوع تكفّل به الكتاب الأخير، الثاني عشر، والذي جاء بعنوان: (الإسلام نظرة سديدة تجاه الناس، وتعاملٌ صحيح معهم).

وفي المُحَصِّلة: بيّنا من خلال هذه الموسوعة ـ بِكُتُبِها الإثني عشر ـ تجلية كتاب الله الحكيم المبارك للإسلام:

١ ـ معرفةً صحيحة بالوجود (الخالق والخلق).

٢ ـ وإيماناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

٣ ـ والتزاماً بالشريعة على المستويات الثلاثة: فرداً ومجتمعاً ودولةً.

٤ ـ وتعاملاً صحيحاً مع الناس، على أساس نظرة سديدة تجاههم.

والهدف الأساس من هذا العمل «طبع هذه الموسوعة بهذه الصورة» هو تسهيل وصولها الى القراء، وتيسير حصولهم على أي موضوع يرغبون فيه منها.

وجديرٌ بالذكر أننا أبقينا «في هذه الطبعة» على أكثرية الإحالات الى الأبواب والفصول والمباحث والمطالب، على حالها الذي كانت عليها في الطبعة الأولى.

وكذلك أبقينا على كل من هذه العناوين الثلاثة:

١ ـ (مُبَشِّرة حول هذا الكتاب) بعد أن غيَّرناهُ الى: (مُبَشِّرةٌ حول هذه الموسوعة).

٢ ـ (قصة تأليف هذا الكتاب) بعد أن غيَّرناهُ الى: **(قصّة تأليف هذه الموسوعة)** والتي شرحنا فيها: كيفية الشروع بهذا العمل في السجن الأمريكي، وكيفية انبثاق خطة الكتاب في خطوطها العريضة، من آيات سورة الفاتحة السبع المباركات، وسبب تقسيمه الى أربعة أبواب في سبعة عشر فصلاً.

٣ ـ (المقدمة) والتي غيَّرناها الى: (مقدمة هذه الموسوعة).

وسَنُدْرِجُها في بداية الكتاب الأول من هذه الموسوعة، لارتباطها بكل الكتب الأخرى المضمَّنة لها، ونكتفي بهذا عن تكرار إدراجها في بداية الكتب الأخرى.

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يَسُدَّ بهذا الجهد، ثغراتٍ كثيرة، في فهم كثير من المسلمين لدينهم القيِّم، وأرجو أن تَحْظى هذه الموسوعة، بأن تكون لبنة في بناء صرح المشروع الإسلامي المنشود.

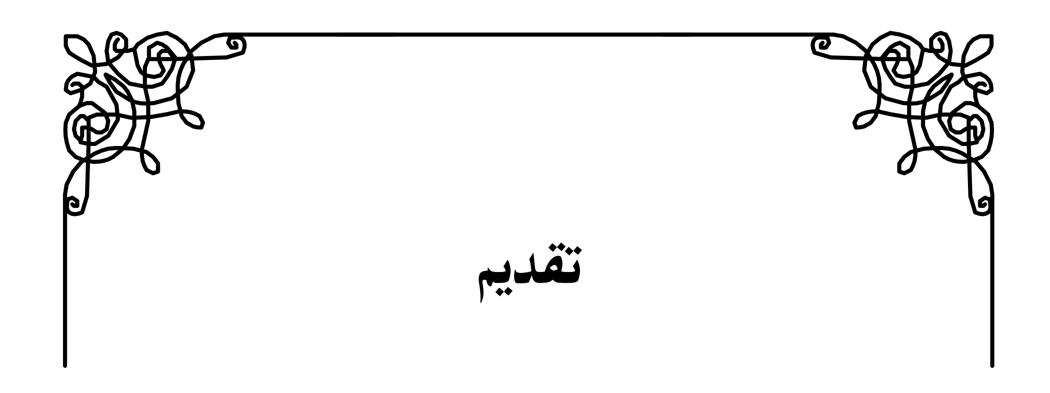
وآمل ألّا يَبْخَل عليَّ القرّاء الكرام، بملاحظاتهم وتنبيهاتهم، وأشكرهم جزيل الشكر مسبقاً.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

١/ رجب ١٤٣٦ هـ
٢٠ نيسان ٢٠١٥م
أربيل /كوردستان ــ العراق







تقديم

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ: فإِنَّ أَصْدَقَ الحَديث كَلامُ الله، وَخَيْرَ الْهَدِي هدْيُ مُحَمَّد، وَشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّار.

خلق الله تبارك وتعالى الخلق وجعله «بالنسبة لنا» على نوعين:

١ ـ **مُشاهَدٌ محسوس**: الذي بإمكاننا إدراكه والتعامل معه، عن طريق حواسنا الخمس: السمع والبصر واللّمسُ والشمُّ والذوق.

٢ ـ **غيب غير محسوس**: الذي لا نتمكّن من خلال حواسنا الإرتباط به والتعامل معه، وإنما نعرفه من خلال آثاره حوالينا.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الحكيم، هذه الحقيقة في أكثر من آية، فعلى سبيل المثال، قال عز وجل:

أ ـ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩﴾ [الحاقة: ٣٩، ٣٨].

ب ـ ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [التغابن: ١٨].

وكل من الملائكة والجن من ضمن عالم الغيب المستور عنّا، وبما أنّ الإيمان بالغيب هو أساس الإيمان والعقيدة الإسلامية، لذا ذكر الله «ﷻ» الإيمان بالغيب، في مقدمة صفات المتقين المهتدين بكتاب الله المبارك، كما قال:

﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة: ١، ٢، ٣].

وقد تحدثنا في هذا الكتاب الرابع بتركيز واختصار، في ضوء آيات كتاب الله المبارك، عن هذين العالمين المستورين، ولم نعوّل الاّ على كتاب الله الحكيم، وقليلٍ مما صحَّ سندُهُ من نصوص السنة النبوية، وذلك لأن الطريق الحصري الوحيد للحديث عن الغيب، هو الوحي الرباني المعصوم، وإنَّما دخلت الخرافات والخزعبلات الكثيرة أذهانَ الناس، في التعامل مع الغيب، وخصوصاً عالمي الملائكة والجن، من جرّاء الإبتعاد عن طريق الوحي المعصوم، واللجوء الى سبل معوجّة ما أنزل بها من سلطان.

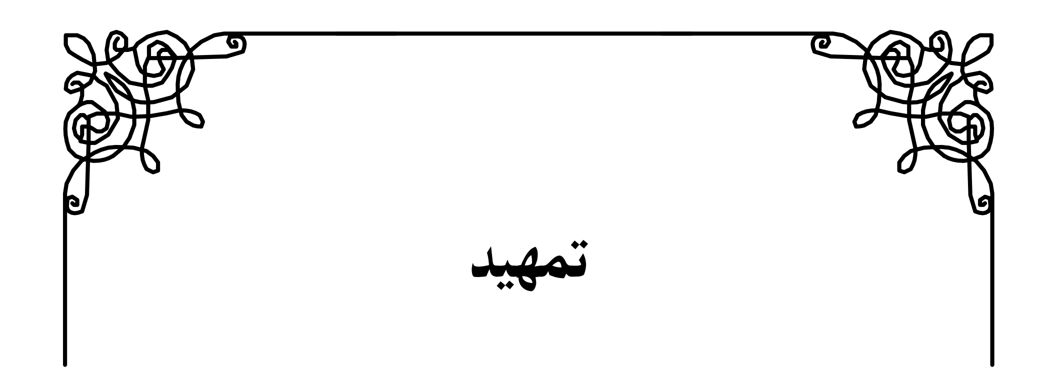
وجديرٌ بالذكر ان الله تعالى اكتفى بذكر ما يهمُّنا علمهُ وإدراكه عن عالمي الملائكة والجن في كتابه الحكيم، ونحن بدورنا، اقتداءً بكتاب الله الكريم، نقتصر على ذكر الحقائق الجليّة التي صرّح بها القرآن العظيم، ونتجنّبُ الخوض «من دون نِبْراسٍ من نصوص الوحي» فيما لا نعلمه من هذين العالمين، إذ حصر الله العليم الخبير علم الغيب في ذاته العلية، كما قال: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ [النمل: ٦٥].

وما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز عن الملائكة الكرام، وعن عالم الجن والشياطين، كافٍ ووافٍ لبيان الطريق الصحيح، للتعامل مع كلا العالمين المخفيَّين، اللّذين لهما ارتباط وثيق بحياتنا الأرضية.

٤/رجب/١٤٣٦هـ

٢٣/نيسان/٢٠١٥م

أربيل



تمهيد

الإيـمان بالملائكة الكرام، هو الركن الثانـي من أركان الإيـمان الخمسة من حيث الترتيب التدريجي لأركان الإيـمان، كما ذكرناه في بداية الكتاب السابق، إذ الملائكة الكرام هم الواسطة بين الله تعالى وبين عباده المصطفين من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فينقلون إليهم وحيَ الله وكُتُبَهُ، وهم بدورهم يُبَلِّغون بها البَشَرَ والجن، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج].

وقد بيَّن كتابُ الله الحكيم كُلَّ الشؤون التي تَـهُمُّنا نحن البشر، مَعْرِفَتُها عن الملائكة الكرام، أطْهَرُ المخلوقات وأَطْوَعُها لله تعالى.

ثم بما أن الجِنَّ هم إخوتُنا وجيرانُنا في حياتنا الأرضية هذه، وكان أبوهم ـ قبل طرده من السماء من جرّاء مَعْصيَتِهِ ـ وثيق الصلة بالملائكة، ثم إنهم مثل الملائكة يَقَعَون في دائرة ما لا نبصرهم من مخلوقات الله، أي هم جزء من عالم الغيب الذي يجب علينا الإيمان به، لذا سَنُتْبِعُ موضوعَ الإيمان بالملائكة، موضوعَ الإيمان بالجن، وذلك في فصلين:

الفصل الأول: الإيمان بالملائكة الكرام.

الفصل الثانـي: الإيمان بالجـن.

ونبدأ بالفصل الأول بتوفيق الله الوهاب:



الفصل الأول

الإيمـان بالملائكة الكرام


ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر
إعلام مكتب الأمير
Ameer's Press Office
/AliBapir
/AliBapir
/MediaAmeerOffice



سنتحدث عن الملائكة الكرام وكيفية الإيمان بهم، في المباحث الستة الآتية:

١ - تعريف الإيمان بالملائكة.

٢ - تعريف بالملائكة.

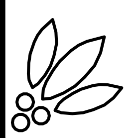
٣ - الملائكة المعروفة أسماؤهم في كتاب الله ﷻ.

٤ - وظائف الملائكة الكرام عموماً.

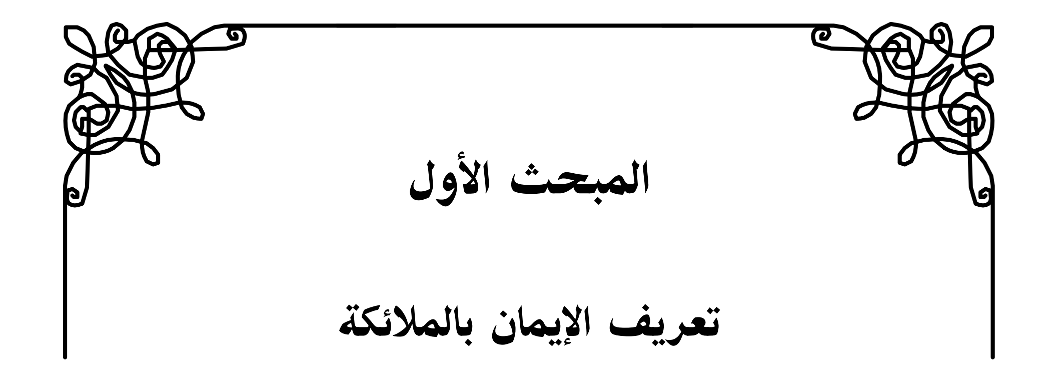
٥ - وظائف الملائكة الكرام تفصيلاً، أو الوظائف الخاصة ببعضهم.

٦ - أربع مسائل متعلقة بالملائكة الكرام.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑




ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر
إعلام مكتب الأمير
Ameer's Press Office
/AliBapir
/AliBapir
/MediaAmeerOffice



المبحث الأول

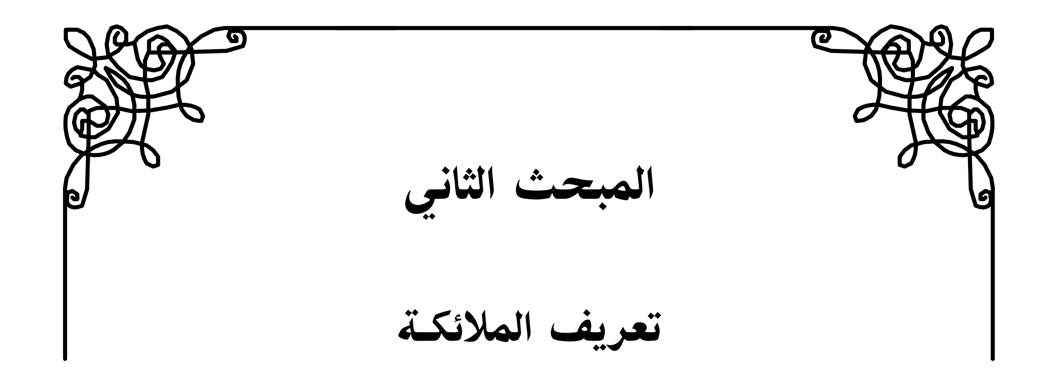
تعريف الإيمان بالملائكة

معنى الإيمان بالملائكة باختصار، هو:

أن نعتقد ونُصَدِّق بوجودهم وبوظائفهم وصفاتهم، بالكيفية التي بيَّنها كتابُ الله تعالى وسنةُ رسول الله ﷺ من دون زيادة أو نقصان، ثم أن نتفاعل مع الملائكة ونتعامل معهم في ضوء وحي الله تبارك وتعالى، لأن الملائكة خَلْقٌ من خلق الله الذي يَقَعُ بالنسبة لنا، وفي هذه الحياةِ في دائرة الغيب (اللاّمحسوس) الذي لا نعرف عنه شيئاً، ووسائلنا الإدراكية وقوانا المعرفية، من فؤاد (عقل) وسمع وبصر ولمس وشم وذوق، عاجزة عن الإطلاع عليه، لذا فليس أمامنا طريق سوى الإستماع إلى الوحي واتِّباعه، لمعرفة ذلك العالم اللامحسوس، وكيفية التعامل معه.

واتّباع الظن والخيال والرجم بالغيب، لا يُغْنينا شيئاً في هذا المجال، بل ويعود علينا بأفدح الخسائر وكثير من الزيغ والضلال، كما حدث هذا لمن لم يهتدوا بهدى الله المستقيم، ولم يُصْغُوا إلى صوت الوحي وإرشاده، والذي هو الجهة الوحيدة التي تُمِدُّنا بالعلم الصحيح عن الغيب عموماً، وملائكة الله الكرام خصوصاً، وسيتَّضِحُ لنا أكثر مفهوم ما أجملْناهُ هنا، في المباحث الآتية.





المبحث الثاني

تعريف الملائكـة

الملائكة[١] ـ كما سيَتبيَّن لنا في ضوء كتاب الله المبين ـ عالَمٌ فريد من مخلوقات الله ذوات الشعور والحياة والإرادة، خلقهم الله تعالى مجبولين على طاعته طاعـة مطلقة، ووصفهم بصفات تدلّ على مدى قربـهم من الله تبارك وتعالى.

وهذه آيات مباركات نتعرف من خلالـها على كثيـر من صفات أولئك الكرام، وكيفية ارتباطهم بالله تعالى، وعُلُوِّ مقامهم عنده:

١) ﴿. . .وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

٢) ﴿. . .وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ. . .﴾ [المدثر: ٣١].

٣) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل].

٤) ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ

(١) ورد لفظ (الملائكة) في كتاب الله تعالى (٦٨) مرة، كما في (المعجم المفهرس) ص٧٨٩.

﴿... مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء].

٥) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

٦) ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر].

٧) ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ...﴾ [النساء: ١٧٢].

٨) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف].

٩) ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران].

١٠) ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء].

١١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

١٢) ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ...﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وتَهَبُنا هذه الآياتُ الحقائِقَ الإحدى والعشرين الآتية، في مجال التعرف على شخصية الملائكة وشأنهم ومقامهم:

١ ـ الملائكة هم جند الله المتواجدون في السَّموات والأرض، والمستعدُّون دَوْماً لتنفيذ أوامر الله والمهمات والوظائف التي يُسْنِدُها إليهم، وهذا هو معنى الجندية في اللغة، وقد سمّى الله تعالى ملائكته جنداً وجنوداً

في أكثر من آية، ومنها الآية: (٤) من (الفتح)، والآية (٣١) من (المدثر).

٢ ـ والملائكة الكرام من الكثرة بحيث لا يحصيهم عدداً إلا الله تعالى خالقهم العظيم ومُجَنِّدُهُم الحكيم، كما يدل عَلَيهِ قوله تعالى في الآية (٣١) من (المدثر): ﴿...وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ...﴾ [المدثر: ٣١].

وقال رسول الله ﷺ بهذا الصدد: «**إِنِّي لأَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ**[١] **السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوضِعُ أَرْبَع أَصَابعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً لله تَعَالَى**»[١] (أَخْرَجَهُ أَحْمَد برقم: (٢١٥٥٥) وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (٢٣١٢) وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَابْنُ مَاجَهْ برقم: (٤١٩٠)، وَالحَاكِمُ برقم: (٣٨٨٣) وَقَالَ: صَحِيحُ الإِسْنَاد عَنْ أَبِي ذَرٍّ، وَحَسَّنَهُ الألباني)

٣ ـ ويصفُ الله الملائكة بِمَجْموعةٍ من الصفات والمزايا ينفردون بها أو بأكثرها عن سائر الخلق، وهي:

١) الإنقياد والإستسلام التام لله تعالى، والذي يتمثل في السجود وتنفيذ كل الأوامر، كما في الآيتين (٤٩ و٥٠) من (النحل).

٢و٣) عدم الإستكبار عن عبادة الله المطلقة، وعدم المَلَلِ والتعب، كما في قوله تعالى: ﴿...وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء].

٤) التسبيح الدائم لله تعالى من غير كَلَلٍ وَمَلَل، ومن دون فتور وانقطاع، كما في قوله تعالى: ﴿...فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت]، وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) أَطَّ يئِطُّ أَطيطاً: صَوَّتَ وَأَطَّ الظَّهْرُ: صَوَّتَ من ثقل الحملِ. المعجم الوسيط، ص٢٠.

٥) الكرامة عند الله تعالى، كما في الآية (٢٦) من (الأنبياء): ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

٦و٧) عدم الكلام إلَّا بإذن الله، وبما هو حق وصواب، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ...﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وفي قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ].

٨ و٩) عدم مخالفة أمر الله تعالى بتاتاً، وتنفيذه بدقة، كما قال تعالى عنهم: ﴿...لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

١٠) الخشية والشفقة من الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿...وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

١١و١٢) عدم الشفاعة لأحدٍ، إلَّا من بعد إذن الله تعالى ورضاه، كما في قوله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

١٣) القرب من الله تعالى، ويدل عليه وصفُ الله إياهم في أكثر من آية بأنهم عنده، كما في قوله تعالى: ﴿...وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأنبياء: ١٩]، وقد وصفُ الله تعالى الملائكة بأنهم مُقَرَّبون منه، كما قال: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ...﴾ [النساء: ١٧٢].

١٤و١٥) قَرَنَ الله تعالى شهادتَهُم بِشَهادتِهِ على وحدانيَّتِهِ في الألوهية، وعلى كون القرآن حقاً ومنزّلاً من الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ...﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ...﴾ [النساء: ١٦٦].

١٦و١٧) الصلاة على النبي ﷺ، والصلاة على المؤمنين الذاكرين لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ...﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ...﴾ [الأحزاب: ٤٣].

١٨) امتلاك الأجنحة (للطيران) اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ...﴾ [فاطر: ١].

١٩) القدرة على التَشَكُّل، كما تمثَّل جبريلُ عليه السلام لـ(مريم) رضي الله عنها في صورة رَجُلٍ، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ۝١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ۝١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝١٨﴾ [مريم].

وكذلك تَمَثلَّ الملائكةُ في صورة رجالٍ من (إبراهيم ولوط) عليهما السلام حيث أتوهما كَضَيْفٍ، كما قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤﴾ إلى (٣٠) (الذاريات)، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ۝٧٧﴾ - إلى (٨١) (هود).

٢٠) وهم ليسوا على درجة واحدة من حيث المَقام، بل كلٌّ له مقامُه الخاص، كما قال تعالى حاكياً قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ۝١٦٤﴾ [الصافات].

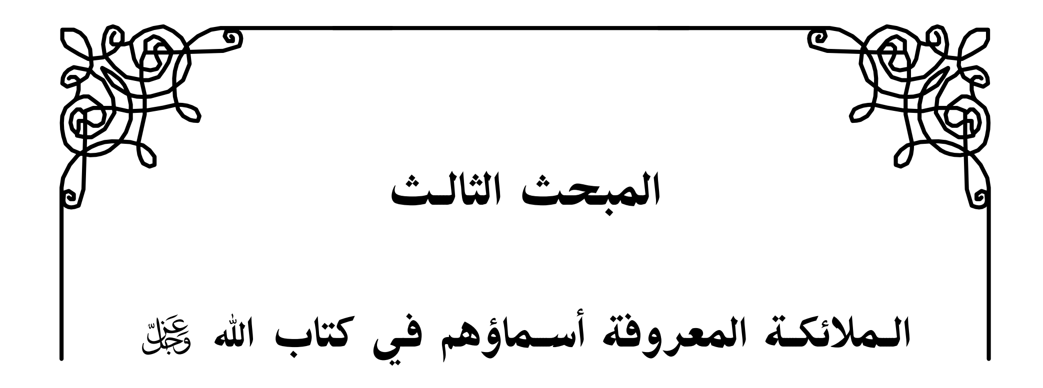
٢١) وهم لا يتصفون بالذكورة والأنوثة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ۝١٩﴾ [الزخرف].

وأما بالنسبة للمادة التي خلق منها الملائكة فهي النور، وهذا ما بَيَّنه لنا رسولُ الله ﷺ في حديث له رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة

ﷺ، حيث قال: «**خُلِقَتِ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ**» (أَخْرَجَهُ أَحْمَد برقم: (٢٥٢٣٥) وَمُسْلِمٌ برقم: (٢٩٩٦)، وَابْنُ حِبَّانَ برقم: (٦١٥٥)، هذا وفيما سيأتـي من المباحث سَنَطَّلِعُ على خصوصيات ومزايا أكثر للملائكة، ومن ثـمَّ تعريف أوضح لذلك العالـم النورانـي المطيع الطاهر.







المبحث الثالث

الملائكة المعروفة أسماؤهم في كتاب الله عز وجل

لم يذكر كتاب الله الحكيم من أسماء الملائكة الكرام، سوى ستة منهم، وهم: (جبريل، ميكال، مالك، مَلَكُ الموت، هاروت، ماروت).

١و٢) جبريل، ميكال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة].

٣) ملك الموت: ﴿۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة].

٤) مالك: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف].

٥و٦) هاروت، ماروت: ﴿... يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ ...﴾ [البقرة: ١٠٢].

أمّا (جبريل) وهو الملك الموكَّلُ بالوحي، فسنتحدث عنه بشكل خاص، إذ ورد ذكره في عدة مواضع من كتاب الله، وله شأن خاص ومقام رفيع بين الملائكة، كما يبدو في كتاب الله الحكيم.

ولكن كل من (ميكال، وملك الموت، ومالك، وهاروت وماروت) فلم يَرِدْ ذكرهم إلا في الآيات التي أوردناها، أي أن كلا منهم ورد ذكره مرة واحدة فقط في كتاب الله.

وبالنسبة لوظائفهم: فـ(ميكال) لم يَرِدْ عنه شيءٌ في القرآن، ولكن جاء في بعض الأحاديث[1] أنه مُوكَّلٌ بالقَطْر (أي الرِّزق)، و(مَلَكُ الموت) هو المسؤول عن قبض الأرواح والمشرف عليه، كما هو واضح في الآية: (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم)، و(مالك) كما يبدو في الحوار الذي جرى بينه وبين المجرمين الجهنميين في الآيات (٧٤ إلى ٧٧) من (الزخرف)، هو المسؤول والمشرف على جهنم وخزنتها.

وأما (هاروت وماروت) فلهما حديث خاص سيأتي في المبحث السادس في المسألة الثالثة منه.

وقد جاء ذكر (إسرافيل) في السُنَّةِ النبوية باسم صاحب القَرْن، ووظيفته هي النفخ في الصور مرتين، مرة لإِحْداثِ الساعة، ومرة لإِحياء الموتى والبَعْثِ والنشور، كما جاء في (سُنن الترمذي) أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كَيْفَ أَنْعَمُ! وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ**» (أَخْرَجَهُ أَحْمَد برقم: (١١٧١٤)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيد برقم: (٨٨٦)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (٢٤٣١)، وَابْنُ حِبَّانَ برقم: (٨٢٣)، وَالحَاكِمُ برقم: (٨٦٧٨) وَغيرهم عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ).

---

(١) كما جاء في حديث حول سبب نزول قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة]، رَوَاهُ أَحْمَد والبُخَاريّ في التاريخ الكبير، والتِّرمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيّ وَالطَّبَرَانِي، وَابْنُ أَبِي حَاتِم، وَصَحَّحَهُ الألباني في (السلسلة الصحيحة) برقم: (١٨٧٢).

جبـريل عليه السلام

أولاً: أسـماء جبـريل:

أطلق كتابُ الله تعالى على (جبـريل) أربعة أسـماء:

أ ـ جبـريل: كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ...﴾، ونزلت هذه الآية رداً على اليهود الذين قالوا لرسول الله ﷺ لما سألوه عن اسم المَلَكِ الذي يأتيه بالوحي؟ وأجابهم بأنه جبـريل: (ذاك الذي ينـزل بالحرب وبالقتال ذاك عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينـزل بالمطر والرحمة، اتبعناك)[1].

ب ـ الروح: كما قال تعالـى: ﴿...فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، وقال تعالـى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا...﴾ [النبأ: ٣٨]، وقال: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر]، والمقصود بـ(الروح) في هذه الآيات هو جبريل.

ج ـ الروح الأمين: كما قال تعالـى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء].

د ـ روح القـدس: كما قال تعالـى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ...﴾ [النحل: ١٠٢].

ثانياً: أوصاف جبـريل:

وصف جبـريل في كتاب الله بأوصاف عديدة، تدل على عُلُوِّ مقامه وكرامته عند الله تعالى، كما في هذه الآيات:

---

(١) أورد (النيسابوري) في كتابه (أسباب النـزول) ص ١٤، ١٥، ١٦، هذه القصة وغيـرها بـهذا الصدد عن (ابن عباس) وعن (عمر بن الخطاب) رضي الله عنهما، وانظر: (السلسلة الصحيحة) للشيخ الألباني رقم: (١٨٧٢)، وقد أشرنا إلى هذا الحديث قبل قليل، وانظر: (لُباب النقول في أسباب النزول) للسيوطي، رقم: (٢٥ و٢٦).
وانظر: الإستيعاب في بيان الأسباب، ج١ ص٣٦، ٣٧، فقد صحّح المؤلِّفان القصة المروية في هذا المجال عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

١ ـ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧﴾ [النجم].

٢ ـ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١﴾ [التكوير].

والأوصاف التي وصف بها جبريل عليه السلام في هذه الآيات هي:

١) **شديد القُوى**: فهو قويٌ وقوتُهُ عظيمة وشديدة.

٢) **ذو مِرَّةٍ**: وهو جميل وحسن المنظر، أو ذو عقلٍ وأَصالَةٍ[1].

٣) **رسول**: وهو الذي كان الله تعالى يرسله لتبليغ وحيه إلى أنبيائه.

٤) **كريم**: وهو ذو كرامة واحترام.

٥) **عند ذي العرش مكين**: وهو عند الله تبارك وتعالى له مكانة خاصة وقَدْرٌ خاص.

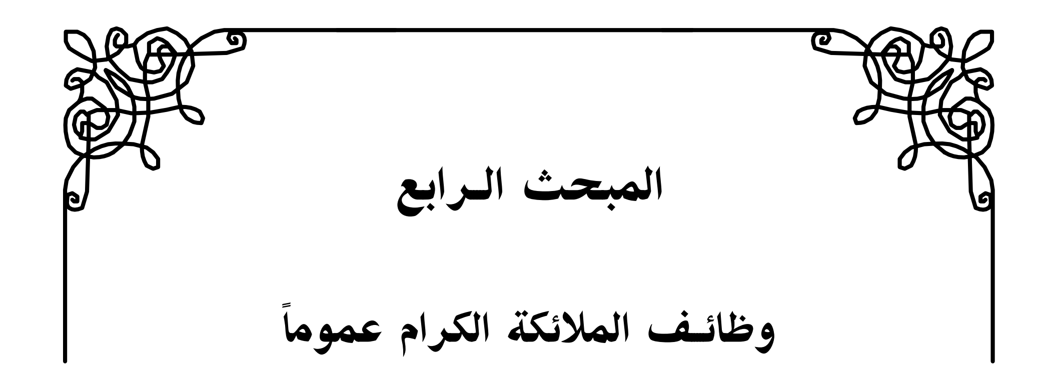
٦) **مُطاعٌ**: وهو في السماء ووسط الملأ الأعلى، يطاع أمرُهُ بإذن الله.

٧) **أمين**: وهو أمين وذو أمانة قصوى، في تبليغ وحي الله ورسالاته إلى أنبيائه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

ثالثا: مقام جبريل ومكانته عند الله في الملأ الأعلى:

بعد التأمل في الآيات التي تتحدث عن جبريل، يبدو لنا بوضوح أن جبريل له مقام رفيع ومكانةٌ عالية عند الله وفي الملأ الأعلى، ينفرد بها من بين الملائكة، ويدل قوله تعالى: ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١﴾ التكوير، على أنه هو رأس الملأ الأعلى وكبير الملائكة الكرام، ومقامه الرفيع هذا ـ على ما يبدو لنا ـ هو الذي أَهَّلَهُ أن يجعله الله تعالى رسوله الأمين الذي يأتي بالوحي منه إلى الأنبياء جميعاً ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

(١) المعجم الوسيط، ص٨٦٢.



المبحث الرابع

وظائف الملائكة الكرام عموماً

وظائف الملائكة الكرام عموماً ـ كما تدل عليه الآيات ـ هي:

الجندية لله تعالى، والطاعة المطلقة التي لا يتطرق إليها خلل أو عصيان، والعبادة الدائمة الدائبة المتمثلة في السجود والتسبيح والحمد لله سبحانه وتعالى، من دون تعب أو سآمةٍ أو فتور، وهم مع هذا لكلّ منهم مقامه الخاص.

وهذه بعض الآيات بهذا الصدد، وان سبقت الإشارة إلى أكثرها:

١) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ. . .﴾ [الحج: ١٨]، والمقصود بـ(من) هنا هم الملائكة الكرام.

٣) ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء].

٤) ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات].

٥) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ **[النحل]**.

٦) ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾ [الفتح].

٧) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف].

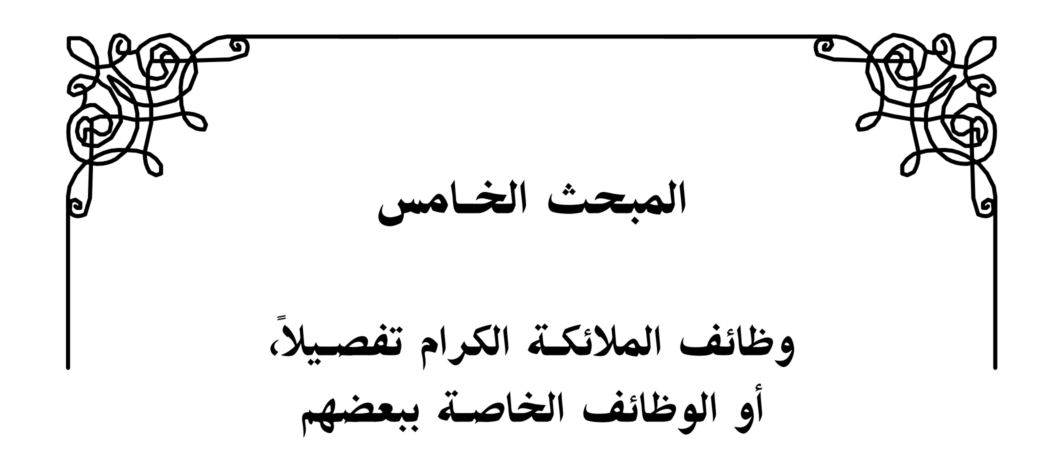
٨) ﴿. . . وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ. . .﴾ [الشورى: ٥].

والذي يفهم من هذه الآيات التي أدرجناها كأمثلة فقط، وكذلك من الأحاديث النبوية الشريفة ذات الإرتباط بالملائكة الكرام، هو:

أن الله تبارك وتعالى كَلَّف الملائكة: جُنْدَه المطيعين، بإدارة شؤون الخلق، عُلْويِّهِ وسُفْليِّهِ حسب خطته وسننه التي وضعها فيه، وهم يقومون بما كُلِّفوا به، أحسن قيام وبإتقانٍ بالغ، وكفاهم بهذا الصّدد شهادة رب العالمين لهم، حيث قال: ﴿. . . لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

هذا هو الذي يبدو لنا من ظاهر كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والله هو العليم الحكيم، وعند الحديث عن وظائف الملائكة تفصيلاً، يتجلّى لنا ما قُلْناهُ أكثر فأكثر.





المبحث الخامس

وظائف الملائكة الكرام تفصيلاً، أو الوظائف الخاصة ببعضهم

كما أن للملائكة شؤوناً ووظائف يشتركون فيها جميعاً، كذلك لهم أعمال ووظائف، ينفرد بها بعضهم ويَتَخَصَّصُ، وهي ـ حسب استقرائنا للآيات المباركة المتعلقة بهذا الموضوع ـ ما نَسْرُدُهُ في الفقرات الإحدى والعشرين الآتية:

١) حمل عرش الله الرحمن تبارك وتعالى والإلتفاف حوله:

كما قال تعالى:

١ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ...﴾ [غافر: ٧].

٢ ـ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة].

٣ ـ ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ...﴾ [الزمر: ٧٥].

هذه الآيات واضحة الدلالة في أن الملائكة الآن يحملون العرش[1] ويلتفون حوله، وكذلك يوم القيامة يحمل ثمانية منهم، أو ثمان مجموعات منهم، عرش الله تعالى، وكلمة (ثمانية) وإن كانت مُطْلَقةً يشْمُلُ مفهومها الملائكة وغيرهم، ولكن الذي يُقَيِّدُ مفهومها بالملائكة، ـ أي ببعضهم ـ بالإضافة إلى السياق، هي آية (غافر) التي تُحَدِّدُ أن حَمَلة العرش العظيم، هم الملائكة الـمُسَبِّحون الحامدون لربِّهم والمؤمنون به والمستغفرون لأهل الإيمان.

٢و٣) إدارة أمور الجنة، وأمور جهنّم والإشراف على أهلهما:

كما قال الله العليم الحكيم جل شأنه:

١ ـ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر].

٢ ـ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ. . .﴾ [الزمر: ٧١].

ويتبيَّن لنا من هاتين الآيتين اللتين ليستا إلَّا مثالين لآيات كثيرة أخرى، أن الله تعالى جعل على كل من الجنة والنار، مجموعة من الملائكة يشرفون على أمورها وأمور أهلها الساكنين فيها.

وأولئك الملائكة المُشْرِفون على كل من الجنة وجهنم، يسمون (خزنة) والخزنة جمع (خازن)، لقيامهم بِخَزْنِ وجمع أهل الجنة والنار فيهما.

---

(١) لقد تحدثنا عن العرش العظيم الذي استوى عليه رَبُّنا، كما يليق به في الفصل الثاني من الكتاب الأول، وكذلك تحدثنا عن مفهوم استوائِهِ سبحانه على العرش، في الفصل الثاني من هذا الباب (أي الكتاب الثالث).

وقد بَيَّن لنا سبحانه أن عَدَدَ خزنة جهنم أو الملائكة الكبار المشرفين عليها، هو تسعة عشر (١٩) مَلَكاً، كما قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ [المدثر].

وكذلك بَيَّن لنا سبحانه بَعْضَ أوصاف الملائكة المشرفين على النار، حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ التحريم.

والغلاظ جمع غليظ، وهو ذو القلب القاسي الذي لا يعرف الشفقة[١]، والشِّداد جمع شديد، وهو القوي المتين[٢]، ومن الواضح أن الذي يتولّى التعذيب، كلما كان أقسى قَلْباً وأقوى بدناً، كان أقدَرَ على أمره.

وإذا كان الله العزيز الحكيم وَكَّلَ بجهنم وأهلها الأشقياء، ملائكة غلاظاً شداداً، فقد وكل بالجنة وأهلها السعداء، ملائكة يتناسب خَلْقُهُم وخُلُقُهم مع الجنة وأهلها، وسَنَزيدُ هذا الموضوع إيضاحاً في الفقرات الآتية.

٤) السجود لآدم عليه السلام:

يبدو من كتاب الله المبين، أن أول ارتباط للملائكة الكرام بالإنسان،

(١) المعجم الوسيط، ص٦٥٨، ٦٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٧٦.

تـمثَّل في سجودهم لآدم أبي البشر، وذلك بعد أن أمرهـم الله تعالى بذلك إثْر إظهاره فضيلة آدم، وهي معرفتـه بأسـماء المسميات المعروضة وإنباء الملائكة بـها، بعد إقرارهم بعجزهم عنها، وقد تـحدثْنا عن هذا في الكتاب الأول فلا نعيده هنا، ولكن ما تـجدر الإشارة إليه، هو أَنَّ أَمْرَ الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، تكرر في سبع سور، وهي:

١ ـ الآية (٣٤) من (البقـرة): ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

٢ ـ الآية (١١) من (الأعراف).

٣ ـ الآية (٢٩) من (الحجر).

٤ ـ الآية (٦١) من (الإسـراء).

٥ ـ الآية (٥٠) من (الكهف).

٦ ـ الآية (١١٦) من (طه).

٧ ـ الآية (٧٢) من (ص).

ومما لا شك فيه أن سجود الملائكة لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان سجود تحية وإكرام، وليس سجود عبادةٍ، إذ هو لا يجوز لغير الله تعالى، مثله في هذا مثل سائر شعائر التعبد.

والملائكة الساجدون لآدم، هل هم كل الملائكة الكرام بلا استثناء، ومن ضمنهم جبريل وميكال وغيرهما، وحملة العرش وغيرهم من كبار الملائكة، أم هم جماعة مخصوصة منهم؟!.

فالجواب: أَنِّي لِحدٍّ الآن لـم أصل إلى رأي قـاطع في هذا، وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ في الآية (٣٠) من (الحجر)

والآية (٧٣) من (ص) ـ حسبما أرى ـ لا تحسم الموضوع إذ من المحتمل أن يُقْصَدَ به كل الملائكة المخصوصين الذين وُجِّه إليهم الأمرُ الربانيُّ من ضمن مجموع الملائكة الكرام.

٥) إنزال الوحي من الله تعالى إلى الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ :

كما قال سبحانه وتعالى:

١ ـ ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ...﴾ [النحل: ٢].

٢ ـ ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج].

٣ ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء].

٤ ـ ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ...﴾ [النحل: ١٠٢].

٥ ـ ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى].

٦ ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة].

٧ ـ ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة].

٨ ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ [التكوير].

٩ ـ ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم].

١٠ ـ ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾ [عبس].

ونقتبس من أنوار هذه الآيات، الأضواء الخمسة الآتية في مجال إتيان الملائكة بالوحي من الله تعالى، إلى الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام:

١ ـ الملائكة الكرام، هم وحدهم الذين يرسلهم الله تعالى بوحيه ورسالاته إلى الأنبياء:

وهذا ما صُرِّحَ به في الآية (٢) من (النحل)، والآية (٧٥) من (الحج) والآية (٧٩) من (الواقعة)، والآيات (١١) إلى (١٦) من (عبس).

٢ ـ جبريل عليه السلام هو المسؤول والمشرف على إيصال الوحي إلى الأنبياء عليهم السلام:

وهذا ما بَيَّنَتهُ الآية (١٠٢) من (النحل)، والآيات (١٩٢و١٩٣و١٩٤) من (الشعراء) والآيات (١ الى١١) من (النجم)، وآيات أخرى أيضاً.

أَجَل إنَّ جبريلَ عليه السلام هو المسؤول الأول عن الوحي، ولكن تحت إِمرته مجموعة من الملائكة الكرام يعاونونه في أداء وظيفته، وهذا هو السبب في ذكر جبريل وحده بعض الأحيان، وذكر جمع من الملائكة أحياناً أخرى، عند الحديث عن إنزال الوحي، من الله تعالى إلى الأنبياء والرسل الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

٣ ـ غير الملائكة الأطهار لا يُسْمحُ لمخلوق آخر ـ كالشياطين ـ أن يتدخل في أمر الوحي، أو حتى أن يقترب منه:

وهذا ما بَيَّنَتْهُ الآيات (٧٥) إلى (٨٠) من (الواقعة)، وكذلك الآيات (٢١٠و٢١١و٢١٢) من (الشعراء): ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢﴾ [الشعراء].

وقد أولى كتابُ الله الحكيم عناية خاصة ببيان هذه الحقيقة، حيث أقسم سبحانه وتعالى أربع سور مباركة، هي: (الحاقة، الواقعة، التكوير، النجم) بعدد من مخلوقاته، تأكيداً على أن الذي يأتي إلى النبّي الخاتم، هو جبريل عليه السلام خصوصاً والملائكة عموماً:

أ ـ ففي (الحاقة) يقسم سبحانه بكل ما نبصره وما لا نبصره من المخلوقات.

ب ـ وفي (الواقعة) يقسم بمواقع النجوم، أي طرقها ومسالكها ومداراتها.

ج ـ وفي (التكوير) يقسم بالنجوم والليل والصبح.

د ـ وفي (النجم) يقسم بالنجم عندما يهوي للغروب، أو للسقوط.

والحكمة في هذه الأقسام كما يبدو لنا في السياقات التي وردت فيها هي:

أولاً: طمأنة الناس على أن الآتي بالوحي وكتاب الله الحكيم لرسول الله محمد ﷺ هم الملائكة المطهرون، وجبريل خصوصاً، والذي هو موصوف بالقوة والحسن والأمانة والكرامة والمقام الرفيع.

ثانياً: دحض افتراءات الكفار الذين كانوا يظنون برسوله الله ﷺ أن ما يأتيه، إنما يأتيه به الشيطان، أو هكذا كانوا يريدون أن يُفْهِموا الناس خداعاً وتمويهاً!!

٤ ـ وصف دقيق لكيفية إيحاء جبريل إلى رسول الله ﷺ في بداية سورة (النجم):

في بداية سورة (النجم) من الآية (١ إلى ١١) بيَّن سبحانه وتعالى بدقة كيفية اتصال جبريل برسول الله الخاتم ﷺ وإيحائه إليه:

١ ـ بداية يُقْسِمُ سبحانه بالنجم عندما يهوي ويميل للغروب ـ مخاطباً المشركين ـ بأن صاحِبَهُم مُحَمَّدَاً ﷺ بعيد عن الضلال والغواية، وهما عكس الهُدى والرُّشد.

٢ ـ ثم يخبر جل شأنه أن محمداً ﷺ لا يتحدث ـ عندما يقرأ القرآن ـ على أساس الهوى، بل هو وحي أوحاهُ الله تعالى إليه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم].

٣ ـ ثم يشرع ـ جلّ وعلا ـ ببيان كيفية مجيء ذلك الوحي إليه، من خلال التعريف بجبريل وبيان بعض أوصافه، فيقول:

إن الملك الذي يتولّى تعليم رسول الله ﷺ الوحي ـ بإذن الله ـ هو صاحب قوة شديدة وعظيمة، وهو ذو منظر حسن وهيئة بهية، أي فهو ذو حظ عظيم من الجلال والجمال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ . . .﴾ [النجم: ٥، ٦].

٤ ـ ثم يُبَيِّنُ ـ جلّ وعز ـ أن جبريل قد تَمثَّلَ وتبدَّى لرسول الله ﷺ في صورته الحقيقية من جهة الأفق الأعلى: ﴿. . . فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [النجم: ٦، ٧].

٥ ـ ثم يصف سبحانه نزوله وهبوطه إلى الأرض، واقترابه من رسول الله ﷺ لغرض الإيحاء: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم].

٦ ـ ثم يُوضِّح وَيُصَوِّرُ العليم الحكيم جل شأنه، كيفية اقترابه ودُنوِّه من رسول الله ﷺ بأنه كان قُرْبُهُ (أي قرب جبريل) منه، كقرب قوسين أو ذراعين متقابلين أحدهما مع الآخر: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم].

٧ ـ وبعد ذلك يذكر سبحانه أن جبريل بعد وصوله إلى تلك الحالة من القرب والدنو من رسول الله ﷺ، قد أبلغه الوحي الذي حَمَّلَهُ إياه الله الحكيم: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم]، وكلمة (ما أوحى) تفخيم لشأن الوحي الذي لا يعرف قَدْرَه وَكُنْهَهُ على الحقيقة سوى الله تعالى.

٨ ـ وفي الختام يُبَيِّنُ سبحانه أن عقل رسول الله ﷺ لم يخطأ ولم يكذِبْ فيما رآه، بل كما رَأَتْ عَيْنُه جبريلَ يقيناً، كذلك كان عقله صاحياً

واعياً: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم]، وقد قُرِيءَ أيضاً: ﴿مَا كَذَّبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ أي: لم يُكَذِّبْ ولم يُخَطِّيءْ عَقْلُ رسول الله ﷺ ما رآه بعينيه، بل صَدَّقَ عَقْلُه ما رآه بعينه، فحصل لديه كلا اليقينين العيني والعلمي (أي العقلي) في مشاهدته لجبريل عليه السلام في صورته الحقيقية السوية، كي يعرف يقيناً، المَلَكَ الذي يأتيه بالوحي.

٥ ـ طرق وحي الله تعالى إلى أنبيائه ورُسُله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ثلاثة لا غير:

وهذا ما بينته الآية (٥١) من (الشورى) حيث حصر[١] سبحانه طريق ارتباطه بأنبيائه ورسُلِهِ في:

أولاً: الوحي وهو الإلهام والقَذْفُ في القلب يقظةً أو مناماً.

ثانياً: الكلام من وراء حجاب، كما حصل لموسى عليه السلام، وللنبي الخاتم ﷺ ليلة المعراج.

ثالثاً: إرسال رسول (مَلَكٍ) وهذا هو أشهر طرق الوحي، حيث يتمثل جبريل عليه السلام في صورة رجل أحياناً فيراه الصحابة رضي الله عنهم، كما في حديث (جبريل) الذي ـ رواه مسلم ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأحياناً لا يرونه، وقد يسمعون أحياناً عند وجه رسول الله ﷺ صوتاً كدويِّ النحل، كما في الحديث الذي رواه أحمد والحاكم وصححه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسنَتَحدَّث عن الوحي في الفصل الخامس من هذا الباب

(١) لأن قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى] استعمل أَحَدَ أَهَمِّ أساليب الحصر في الكلام، وهو مجيء الإستثناء بعد النفي، فالذي يقول: (لم أشرب إلَّا الماءَ) ينفي عن نفسه شرب غير الماء ومن ثمَّ يَحْصِرُ شُرْبَه في الماء، ويجعله مشروبه الوحيد.

الثاني ـ أي الكتاب السادس من هذه الموسوعة ـ تفصيلاً، عند حديثنا عن الإيمان برسل الله وأنبيائه الكرام عليهم السلام.

٦) **حفظ وتسجيل أعمال الإنسان**:

كما قال الله تعالـى:

١ ـ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام].

٢ ـ ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الرعد: ١٠، ١١].

٣ ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

٤ ـ ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار]، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق].

ونُلَخِّصُ ما تدل عليه هذه الآيات، في البنود الثلاثة الآتية:

أولاً: وأول ما يلاحظ بالنسبة للملائكة المراقبين لأعمال الإنسان وتصرفاته هو: أن الله تعالى وصفهم بعدة أوصاف، وهي:

١ ـ (حفظة) كما في الآية (٦١) من (الأنعام).

٢ ـ (معقبات) كما في الآية (١١) من (الرعد).

٣ ـ (رقيب عتيد) كما في الآية (١٨) من (ق).

٤ ـ (حافظين وحافظ) كما في الآية (١٠) من (الإنفطار)، والآية (٤) من (الطارق).

٥ ـ (كراماً) كما في الآية السابقة.

وكل من (حفظة) و(حافظين) جمع (حافظ): وهو الذي يحفظ، والمقصود بما يُحْفَظُ هنا هو: أعمال الإنسان وتصرفاته الظاهرة والباطنة.

و(مُعَقِّبات) جمع (معقبة) أي الملائكة المعتقبات والمتناوبات بعضهم مع بعضٍ، في حفظ أعمال الإنسان ومُراقَبَتِهِ.

و(رقيب) هو المراقب، و(عتيد) أي المُعَدّ الحاضر دوماً[1].

و(كراماً) جمع (كريم) وهو الشريف ذو القدر والكرامة.

إذاً: فالملائكة الموكَّلون بحفظ أعمال الإنسان، يقومون بوظيفتهم التي كلفهم الله تعالى بها، بأحسن ما يكون، وقد جَهَّزَهم الله الحكيم بكل ما يحتاجونه لأداء وظيفتهم، وهم ذَووا قدر وكرامة عند ربهم الكريم جل وعلا.

ثانياً: وهم يراقبون الإنسان في جميع حالاته ليلاً ونهاراً، سواء كان مُسْتَخْفياً في ظلمةِ الليل، أو مختبئاً في سِرْبٍ تحت الأرض، أم لا، كما بينتهُ الآيتان (١٠ ـ ١١) من (الرعد)، وكذلك تدل عليه الآية (٦١) من (يونس): ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ. . .﴾، لأن قوله تعالى: (وما تكون في شأن) شامل لكل الحالات التي يكون فيها الإنسان، والمقصود بقولهِ تعالى: (إلَّا كُنّا عليكم شهوداً إذ تُفيضون فيه)، هو حضور وشهود الملائكة الكرام، ومن الواضح أن شهود الله تعالى ورؤيته لكل الأشياء، ثابتة في كل الأحوال، ولكن الملائكة لا يشهدون الإنسان ولا يراقبونه إلا في أثناء أعماله وتصرفاته، ولا يُسَجِّلُون إلَّا ما يتعلَّقُ به الثواب والعقاب، وهذا هو ما يُفْهَم من الآية، سواء نظرنا إلى كلمة (شأن) أو جملة: (ما تتلوا منه من قرآن) أو جملة: (تعملون من عمل).

---

(١) (عَتيد) أي: مُعتَدٌ مُحضَرٌ بلا زيادة أو نقصان، المصباح المنير في تهذيب تفسير إبن كثير، ص١٣١١، إعتَدَّ الشَيءَ: أحضَرَهُ، المعجم الوسيط، ص٥٨٧.

ثـالثاً: وهم يُسَجِّلون كل ما يصدر من الإنسان، من نية أو قول، أو فعل، سِرِّياً كان أو عَلنياً.

أما بالنسبة للأقوال والأعمال السرية والعلنية، أي حفظها كلِّها، فيدل عليه قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ...﴾ [الرعد: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ...﴾ [يونس: ٦١]. وكذلك يدل عليه وصف الملائكة الكرام الكاتبين بـ(حفظة) و(حافظين)، لأن الحفظ يشمل مفهومُهُ كلَّ شيء ينبغي له أن يحفظ.

وأما بالنِّسبة للنيّات وأعمال القلوب ـ أي حفظ وتسجيل الملائكة الموكَّلين بحفظ أعمال وتصرفات الإنسان، لـها ـ فيمكننا الإستدلال عليه بالأدلَّة الخمسة الآتية:

١ ـ إن كلمة (حفظة) أو (حافظين) أو (حافظ) التي جعلت وصفاً وعنواناً للملائكة المراقبين للإنسان، مفهومها شامل لكل ما يصدر عن الإنسان دون استثناء، نيةً كانت أو قولاً أو فعلاً، دون تخصيصه بشيء بذاته، بل هو شامل لكل ما يصدر من الإنسان من الخير والشر، سواء تعلق بعقله وقلبه، أو لسانه، أو جوارحه.

ثم لا شك أن النِّيات وأعمال القلوب، هي أساس سائر التصرفات والنشاطات الفعلية والقولية وينبوعها.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق]، واضح الدلالة على أن الحفظة الكرام، مُطَّلِعون على خواطر القلب وخفاياه، وذلك لأن الله تعالى بعد أن ذكر اطِّلاعَهُ على ما في النفس من خواطر، وقُرْبهِ من الإنسان أكثر من حبل الوريد ـ والوريدان عرقان في صفحتي العنق[1] ـ ذكر تسجيل الملكين القَاعِدَينْ عن اليمين والشمال لتصرفات

(١) المعجم الوسيط، ص١٠٢٤.

الإنسان، وهذا يعني أن المقصود بقربه تعالى إلى الإنسان أكثر من حبل الوريد، إنما هو قرب ملائكته الحفظة، وذلك كي لا يَتوهَّم مُتوهِّم، بأَنَّ قربه تعالى من الإنسان أكثر من وريده، إنما هو قرب ذاتي! فبين سبحانه أن قربه يتمثل في حضور الملائكة الحفظة، وتسجيلهم لكل ما يصدر منه، وقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، في الآية التي بعدها، فيه إبرازٌ لجزء مما يُسَجِّله الحفظة وهو الأقوال، وهذا لا يُنافي أن غيرَ الأقوال أيضاً يسجل.

وقد استعملت كلمة (إنّا) أو (نحن) الدالة على الجمع في كتاب الله تعالى، في أكثر من آية في المواضع التي يجري فيها الحديث عن قيام الملائكة بالمهمات الموكولة إليهم، مثل: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة]، إذ من الواضح أن المقصود بكلمة (نحن) هنا هو الملائكة القابضون للروح، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ. . .﴾ [يونس: ٦١].

إذ ذكر سبحانه ثلاث حالات للإنسان، سواء كان الخطاب موجَّهاً لرسول الله ﷺ أو لأي مسلم من أمته:

<u>**الأولى:**</u> (ما تكون في شأن) وهذا يَشْمُلُ كل الشؤون الخفية والعلنية بلا استثناء.

<u>**الثانية:**</u> (وما تتلو من قرآن) وهذا وإن كان في الظاهر خاصاً بحركة اللسان، ولكن يَشْمُلُ العقل والقلب كذلك، لأن من شروط تلاوة القرآن حضور القلب والذهن.

<u>**الثالثة:**</u> (ولا تعملون من عمل) وهذا يقصد به الأعمال الظاهرة حسب دلالة السياق، وإلا فإن مفهوم كلمة (العمل) في كتاب الله الحكيم كما ذكرناه في السابق، شامل لجميع ما يصدر من الإنسان من نشاطات عقلية وقلبية وقولية وفعلية.

وقوله تعالى: ﴿...إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ...﴾ [يونس: ٦١]، ـ كما ذكرنا من قبل ـ وإن كان يشمل شهوده هو سبحانه، ولكن مفهومه الأكثر مُتبادِراً إلى الذهن، هو شهود الملائكة.

وعليه: فالحفظة الكرام يكتبون كلَّ ما يصدر من كيان الإنسان من خير أو شر.

٤ ـ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس].

وَجَليٌّ أن الكيد والمكر والتخطيط السيء، عَمَلٌ قلبيٌّ وسِرِّيٌّ، قبْلَ أن يتجسَّد قولاً ثم فعلاً وممارسةً، وكتابة الملائكة لـ(مكر) الكفار، برهان ساطع على أنهم مطَّلعون على ما في القلب من خير أو شر.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة].

وهذه الآية صريحة الدلالة على أن الله تعالى يحاسِبُ الناسَ على ما في قلوبهم من نياتٍ وعَزَماتٍ سيئة، وبما أن الله تعالى اقتضَتْ حكمتُهُ ألَّا يحاسب الناس إلا على أساس ما ضُبِطَ منهم وسُجِّل عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

إذاً: فأعمال القلوب ونيّاتها، مِمّا يُسجِّله الحَفَظَة ويكتبونه[1].

---

(١) والحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صَحِيحَيْهِما دليل على ما قلناه، ويبدأ الحديث هكذا: «إنَّ الله كَتَبَ الْحَسَناتِ وَالسَّيِّئاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً» أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦١٢٦)، وَمُسْلِمٌ برقم: (١٣١).

٧ - **النّزول على أهل الإستقامة**:

كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ...﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

وهذه وظيفة أخرى من وظائف بعض الملائكة الكرام، وهذا النّزول يكون في الحياة الدنيا، كما هو ظاهر في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

ومن البَيِّن أن نزولَ الملائكة هذا على أهل الإستقامة، ليس شيئاً ظاهرياً ومحسوساً، لأن الملائكة عالم غير محسوس، بل هو شيء خفي، أو حالة معنوية خفية تعتري الإنسان، فَتُثْمِرُ فيه الطمأنينةَ والسكينة والشعورَ العميق بالفرح والسعادة، وقد تُثْمِرُ فيه الإِلهامَ بفعل الخير، أو حصول علم ومعرفة، لم يَسْبِقْ له بهما عَهْدٌ.

٨) **الإستغفار لأهل الإيمان، والدعاء لهم بالخير، والوقاية من النار والفوز بالجنة**:

كما قال الله الغفار جل في علاه:

١ - ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الشورى].

٢ - ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر].

أجل إن الدعاء بالخير لأهل الإيمان، وظيفة أخرى من وظائف

الملائكة، خاصة حملة العرش والمُلتفِّين حوله، ويَشْتَمِلُ دعاءُ الملائكة الكرام على:

١ ـ الاستغفار أي طلب مغفرة الله تعالى وسَتْره، كما في الآية (٥) من (الشورى)، والآية (٧) من (غافر)، وقوله تعالى في الآية (٥) من (الشورى): ﴿. . . وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ. . .﴾ دليلٌ على أنَّ استغفارَ الملائكة شامل لكل المؤمنين عموماً من الجن والأنس، إذْ كلهم ساكنوا الأرض[١].

٢ ـ الوقاية من عذاب الجحيم، كما في الآية (٧١) من (غافر).

٣ ـ الإدخال في الجنة، كما في الآية (٩) من (غافر).

٤ ـ الوقاية والحفظ من السيئات، كما في الآية (٩) من (غافر)، والمقصود بالسيئات هنا: مصائب القيامة.

٩) <u>الصلاة على النبي الخاتم ﷺ وعلى أهل الذكر من أهل الإيمان:</u>

كما قال الله تعالى:

١ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

٢ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب].

وصلاة الملائكة هي طلبهم من الله تعالى الثناء والرحمة والمغفرة للإنسان، وهذا يكون لكلّ بِحَسْبِهِ، إذْ من كان مغفور الذنب، وهو نبيُّ الله

---

(١) والدليل على أن الجنَّ مثل الإنس ساكنوا الأرض، هو قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف]، إذ من الواضح أن المقصود بـ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ هو أن آدم وحواء من جانب، وإبليس وذريته من جانب آخر، هما طرفي العداوة، ومَقَرُّهما الأرض بِنَصِّ القرآن!

الخاتم ورسولُه الأعظم ﷺ كما قال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح]، فهو يُطْلَبُ له رفعُ الدرجات وزيادة الفضل والكَرَم الربّانـي، وأما غيرُهُ، فكلٌّ يُطْلَبُ له ما يليق بشأنه، وما هو بِمَسيسِ الحاجةَ إليـه.

ويفهم من الآيات (٤١ و٤٢ و٤٣) من (الأحزاب)، أن المسلم كلما كان أكثر ذكراً لله تعالى، وأوفر نصيباً في تسبيحه وحمده، كلمّا كان أكثر حظاً في صلوات الله تَبارك وتعالى وصلوات الملائكة الكرام.

وكذلك يُفهم منها أن من حظي بصلاةِ الله وصلاة ملائكته عليه، فهو يخرج من الظلمات إلى النور، بالمفهوم الواسع الذي بيناه في الفصل الثاني من هذا الباب ـ أي الكتاب الثالث ـ، وذلك لأن الله تعالى جعل إخراجَ أهل الإيمان من الظلمات إلى النور، غاية صلاته وصلاة الملائكة، وبناءً عليه:

فَبِقَدَر ما يخرج الإنسان من الظلمات وينال النُّورَ، يكون قد حظي بصلاة الله العظيم الكريم جل وعلا وصلاة الملائكة عليه، وهذا شيء محسوس ومُحقَّق لأهل الإيمان، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

١٠) __إنزال السكينة من الله تعالـى على قلوب أهل الإيمان:__

كما قال الله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح]، والدليل على أن السكينة إنما تأتـي بها الملائكة ـ أي بعضُهُم الذين يَخُصُّهم الله تعالى بذلك ـ ويُدخِلونَها في قلوب أهل الإيمان أو يسكبونها عليهم، هو أن الله تعالى بعد أن ذكر في الآية إنزال السكينة في قلوب المؤمنين، كي يَنْضاف إيمانٌ إلى إيمانهم، ذكر الملائكة بقوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾، وهذا واضح الدلالة على أن لأولئك الجنود علاقةً بتلك السكينة، ثم وصف سبحانه نفسه بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ تنبيهاً على أنه سبحانه (عليم بعباده) ومن الذي يستأهل نزول السكينة على قلبه، و(حكيم في صنعه كله)

فيتعامل مع خلقه وفقاً لِسُنَنِهِ الحكيمة التي وضعها فيه، ومنها إنزال ملائكته بسَكِينتِهِ على قلوب أهل الإيمان، ومن الواضح أن الله تعالى قادِرٌ على أن يُجْرِي كُلّ أمور خلقه من غير تدخّل أسباب ووسائط، بل بمجرد مشيئته وأمره الفوريِّ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، ولكن اقتضت حكمتُهُ الأزلية أن يُجرِي الأمورَ من خلال الأسباب كقاعدة عامة، ولكن قد يَخْرِقُ تلك القاعِدَةَ، لِيُعْلَمَ أن مشيئته مطلقة، وليست مقيدة بشيءٍ، سوى حكمته جلَّ وعلا.

هذا وقد يحسُّ بعضُ أهل الإيمان في بعض الحالات، سواء في اليقظة أو المنام، أن الملائكة هم الذين يَتولَّوْن إنزال السكينة وَسَكْبَها عليهم.

١١) تثبيت المجاهدين في سبيل الله تعالى ومشاركتهم إياهم في قتال الكفار:

كما قال سبحانه وتعالى:

١ - ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران].

٢ - ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال].

٣ - ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا

﴿... لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦﴾ [التوبة].

٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ [الأحزاب].

وهذه الآيات التي نزلت بمناسبة كل من غزوة (بدر) و(أُحد) و(حنين) و(الأحزاب)، واضحة الدلالة على أن الملائكة قد شاركوا الصحابة ﷺ بقيادة النبيِّ ﷺ، قِتالَهم الكفار، وخاصة في غزوتي (بدر) و(حنين)، في المجالَيْن المعنويِّ والماديِّ.

وقد يرى بعضُ العلماء أن مشاركَةَ الملائكة للمجاهدين في القتال، لَمْ تَعْدُ تثبيتَ قلوب المجاهدين وتَرويعَ الكفار، ويستدلون بقوله تعالى في كل من (آل عمران) و(الأنفال): ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ...﴾ [آل عمران: ١٢٦]، و﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ ...﴾ [الأنفال: ١٠].

ولكن أرى هذا الرأي ضعيفاً ومخالفاً لظاهر الآيات المباركات، بالإضافة إلى مصادَمَته لآثار وَمَرْويّاتٍ في السنة والسيرة، تُفيدُ بوضوحٍ مشاركَةَ الملائكة الفعلية في القتال[1].

وأما استدلالهم بالجملة المباركة الواردة في كل من (آل عمران) و(الأنفال) ففي غير مَحلِّهِ، وذلك لأنَّ الجملة المذكورة يُقْصَدُ بها إلفاتُ نَظرِ المسلمين إلى السبب الحقيقيِّ للنصر وهو الله تعالى، وليس نفي مشاركة

---

(١) ومنها: ما رواه البخاري عن (معاذ ابن رفاعة بن رافع الزُّرقيِّ عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر، قال: جاء جبريل إلى النبّي فقال: ما تَعُدُّون أهلَ بدرٍ فيكم؟! قال: (من أفضل المسلمين) أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة).

وكذلك روى البخاري عن ابن عباس ﷺ أن النبّي ﷺ قال يوم بدرٍ: (هذا جبريل آخذٌ برأس فرسه عليه أداة الحرب).

انظر (صحيح البخاري)، (١١ ـ باب شهود الملائكة بدراً)، رقم: ٣٩٩٢، ٣٩٩٥.

وكذلك روى عن عائشة ﷺ أنها قالت: (لما رجع النبّي ﷺ من الخندق ووضع السلاحَ واغتسل دعاه جبريلُ ﷺ، فقال: وَضَعْتَ السلاح؟ والله ما وضَعْناه فاخرجْ إليهم، قال: فإلى أين؟ قال: هاهنا وأشار إلى بني قريظة، فَخَرجَ النبّي ﷺ إليهم). (صحيح البخاري) رقم: ٤١١٧.

الملائكة الفعلية في القتال، وهذا واضحٌ جِداً لمن تأمَّل السياقَ كُلَّه، ولم يُقَطِّعْهُ إلى أجزاء، والدليل على أن المقصود بالجملة المذكورة، هو إلفاتُ نَظَرِ المؤمنين إلى السبب الحقيقي للنصر، وليس نفي المشاركة الفعلية، هو أن الله تعالى عقَّب في كُلّ من: (آل عمران) و(الأنفال) على الجملة المذكورة بقوله: ﴿...وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، و﴿... وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠].

وبناءً عليه: فيكون معنى الجملة هكذا:

ولم يجعل الله تعالى مشاركَةَ الملائكة لكم في قتال الكفار، إلا بشارة لكم ـ بالنصر والتأييد الربّانيّ ـ وإلَّا فليس النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، وليس بمجرَّد مشاركة الملائكة.

والحكمة في ذلك هي صَوْن جانب التوحيد، من أن يَمُسَّهُ غبارٌ ما في بعض الأذهان، ويَنْسَوْا أو يَغْفُلوا عن أنَّ الحَسْمَ النهائيّ ليس في حَوْزَة الأسباب، بل هو في يد مُسَبِّب الأسباب، جل شأنه وعَزَّ اسمه.

وأرى أَنَّ قَولَه تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم...﴾ [الأنفال: ٩]، نَصٌّ في مشاركة الملائكة الفعلية، لأن الإستغاثة كانت بغرض الإمداد بالقوة في القتال، وقد بَيَّنَ الله تعالى أنه أمدَّهم بما طلبوه منه!

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال]، إذ من الواضح أن الأمر الرباني ﴿...فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، مُوَجَّه للملائكة لأن السياق كله جملة واحدة مترابطة.

وكذلك يدل على ما قلنا: قولُه تعالى في الآية (٢٦) من (التوبة): ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾، حيث يذكر سبحانه تعذيبه للكفرة المحاربين ضِدَّ الإسلام في غزوة (حنين) بعد ذكره إنزال جنود غير مَرْئيِّين، وهذا يعني:

أَنَّهُ قد قام أولئك الجنودُ الغَيْبيُّون بقتل الكفار، وهذا هو المقصود

بتعذيب الله لهم[1].

وفي ختام هذا الموضوع أقول:

يفهم من مجموع الآيات الواردة بشأن مشاركة الملائكة الكرام للمجاهدين، وإمداد الله تعالى إياهم بهم، وبالأَخصِّ قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال]، وقوله: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران]، أَنَّ إِمدَادَ الله العزيز الحكيم ـ جل وعز ـ المجاهدين في سبيله بالملائكة الكرام، سنة ربانية ثابتة، تتحقَّق وتتكرَّر، كلما توفَّرت شروطُه وَدَواعيهِ من الصبر والتقوى والإستغاثة والإستنجاد بالله في المؤمنين، وحاجتهم إلى إمدادِ الله بسبب عدم تكافؤ ميزان القوى.

ومن الواضح أن مشاركة الملائكة الكرام، تتخذ صوراً وأشكالاً متعددة حسب اقتضاء الظروف والملابسات المختلفة للمجاهدين.

١٢) لَعْنُ الكُفار عموماً، والعلماءِ[2] الكاتمين لآيات الله وبيِّناته خصوصاً:

كما قال تعالى:

---

(١) هذا ما قُلته ورَجَّحْتُهُ حينذاك، ولكنِّي الآن أقول: الرّاجح أن مشاركة الملائكة الكرام كانت معنوية، كما يفهم من الآية (١٢٦) من (آل عمران): ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾، والآية (١٠) من (الأنفال): ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ والمرويات يجب تأويلها في ضوء آيات الله المحكمات، هذا وذكرت تفصيل أسباب ترجيح هذا الرأي، في تفسيري لسورة الأنفال، في المجلد السابع لتفسيري باللغة الكوردية، ومن تلك الأسباب: أن قاتلي قتلى المشركين في كل من غزوة بدر وغزوة الأحزاب، كانوا معروفين، من الصَّحابة الكرام، فما من قتيل من المشركين، إلاّ وقاتِلُهُ معروف معلوم، إذن: من هم المشركون الذين قُتِلوا من قبل الملائكة؟!

(٢) وكون الآية نازلة بسبب موقف بعض علماء أهل الكتاب الكاتمين للحق والبيِّنات على كون خاتم النبيين (محمد) حقاً وصادقاً، لا يجعل مفهومَها منحصراً فيهم، لأن خصوص السبب لا يمنع شمول المعنى، إذاً فمفهومها شامل لكل عالم متاجرٍ بدين الله، الذي يكتم حقائقه عن الناس أو يُحَرِّفها.

١) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة].

٢) ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [آل عمران].

٣) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة].

كما نرى: في الآية (١٦١) من (البقرة) ـ يبين سبحانه أن الكفار الميِّتين على الكفر يُنْـزِلُ الله تعالى وملائكته عليهم اللَّعنة، وكذلك الناس ـ والمقصود بهم أهلُ الإيمان ـ كُلُّهم يلعنونَهم.

وكذلك في الآيتين (٨٦ و٨٧) من (آل عمران) يعلن سبحانه وتعالى أنه هو وملائكته وجميعُ الناس (أي جميع أهل الإيمان) يلعنون الذين يرتدون عن دين الله الحق، بعد أن آمنوا وعرفوا دين الله وشهدوا بحقانية رسول الله ﷺ.

وفي الآيتين (١٥٩ و١٦٠) يخبر ـ جل وعلا ـ أن الكاتمين للحقائق والهدى الذي أظهره الله في كتابه ـ أي كتاب من كتبه ـ ، يلعنهم الله بنفسه ويلعنهم جميع اللاعنين ـ والمقصود بهم هم الملائكة وأهل الإيمان من البشر بدليل الآيات السابقة ـ، ثم يستثني سبحانه من الكاتمين، الذين يتوبون إلى الله تعالى وَيَنْدَمُون عما اقترفوه، ولكن يُعَرِّفُ أولئك التائبين النادمين المستثنين من اللعن والإبعاد عن رحمة الله، بثلاث صفات:

١ ـ (التوبة) وهي الرجوع الفعليُّ إلى الله تعالى، وتغيير المسلك والمسير والإلتزام بدين الله بِجِدّ.

٢ ـ (الإصلاح) وهو شامِلٌ لإصلاح النفس والغير أي: الذين تسبب هو في ضلالهم وانحرافهم.

٣ ـ (البيان) وهو الإعلان عن الحقائق التي كتمها سابقاً والصدع بها مُدَوِّياً عكس السابق.

ويبدو من هذه الآيات، أن الملائكة الكرام، موقفهم في كل الأحوال هو موقف ربهم الحكيم العظيم تبارك وتعالى، فهم سِلْمٌ لمن سالمَهُ الله، وحَرْبٌ على من حاربه الله، فَيُحبُّون من يُحِبُّهُ الله، ويستغفرون له ويدعون له بخير ويُصَلُّون عليه، ويبغضون من يُبْغِضُه الله، وَيَلْعَنونه وَيَودُّون له العَثار والهَلاك، فالملائكة الكرام هم عباد الله وأولياؤه حقاً.

١٣) تبشيرُ بعض عباد الله الصَّالحين بما يَسُرُّهم:

وهذه وظيفة أخرى من وظائف الملائكة الكرام، كما تبينه لنا هذه الآيات:

١) ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحجر].

٢) ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران].

٣) ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران].

٤) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

ومن تبشير الملائكة لأهل الإيمان والتقوى: إرائتهم إياهم رُؤىً صالحة وصادقة، تكون مبعث سرور وطمأنينة وثبات لهم، سواء كانت بشارةً أو إنذاراً، وهذا ما يدل عليه حديث رسول الله ﷺ الذي يُقَسِّمُ فيه الرؤى والمنامات إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ رؤيا تبشير من المَلَك.

ب ـ رؤيا تحزين من الشيطان.

ج ـ رؤيا حديث النفس (أضغاث أحلام).

وهذا هو نص الحديث: «الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: رُؤْيَا مِنَ الله، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ

الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ بِهِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ في اليقظة» (أَخْرَجَهُ أَحْمَد برقم: (١٠٥٩٨)، وَمُسْلِمٌ برقم: (٢٢٦٣)، وَأَبُو دَاوُدَ برقم: (٥٠١٩)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (٢٢٧٠) وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَابْنُ مَاجَهْ برقم: (٣٩٠٦).

١٤) التمثّل في صورة بشر أو غيره، لتحقيق غرضٍ يتوقف عليه:

وذلك كتمثُّل الملائكة في صورة رجال ضيفٍ، لكل من (إبراهيم) و(لوط) عليهما السلام، وقد وردت قِصَّتُهُما معاً في كل من: (هود والحجر والعنكبوت والذاريات)، وَتَـمَثُّل جبريل لـمريم في صورة رجل تامِّ الخَلْق، كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ [مريم].

وجاء في أحاديث نبوية أن جبـريل عليه السلام كثيراً ما يَتَمَثَّل للنَّبيِّ الخاتم ﷺ في صورة (دحية الكَلبـيِّ) الصحابـي رضي الله عنه كما رُويَ عن (أم سلمة) رضي الله عنها[1]، كذلك جاء هذا الحديث في هذا المجال: «عن أنس أن النبي ﷺ كان يقول: «**يأتيني جبريل في صورة دِحْية، وكان دِحية جميلاً**»[2]. وسنذكر بعضاً من الأحاديث التي لها علاقة بكيفية الإيحاء إلى النبي الخاتم ﷺ، في الفصل الخامس من هذا الباب ـ أي الكتاب السادس ـ المخصّص لبحث الإيمان بالرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وكذلك جاء في حديث رسول الله ﷺ أن الله تعالى أرسل مَلَكاً إلى كلٍّ من: الأقرع والأبرص والأعمى، في صورة رجلٍ، لما أراد الله الحكيم ابتلاءَهم، والحديث متفق عليه[3].

---

(١) (عن أبي عثمان النَّهدي: قالت أم سلمة: كان النبيُّ ﷺ يحدِّثُ رجلاً، فلما قام، قال: يا أمُّ سلمة! مَنْ هذا؟ فقلت: دِحْيةِ الكلبي، فلم أعلمْ أنَّه جبريل حتى سمعْت رسول الله ﷺ يُحَدِّث أصحابه ما كان بيننا) يُنظر: سيرُ أعلام النّبلاء. للذهبي. ج٢ ص٥٥٣ (١١٧)، تهذيب ابن عساكر (٢٢٣/٥).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، وأَخْرَجَهُ أحمد (١٠٧/٢) عن ابن عمر وهذا سند صحيح، وأورده الحافظ في (الإصابة) (١٩١/٣) عن النسائي وصححّ سنده، المصدر نفسه، ج٢ ص٥٥٣.

(٣) (صحيح البخاري)، رقم: ٣٤٦٤، وصحيح مسلم: ٢٩٦٤.

كما وثبت في السنة النبوية، على صاحبها من الله أفضل صلاة وأتم تسليم وأعلى تـحية، أن بعض الصحابة ومنهم (أُسَيدُ بن حُضَيْر) ﷺ تَمثَّل لهم الملائكةُ في صورة مصباح أو نورٍ مُضيءٍ معَلَّق في السماء فوق رؤوسهم، وهذا مما رواه صاحِبا الصحيحين (البخاري ومسلم) رحمهما الله وغيْرُهما(١).

١٥) تـأيـيد الله تـعالى عيسى ابن مريم عليه السلام بجبـريل (روح القدس):

كما قال الله العزيز العليم:

١)﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ... ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة].

٢) ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا... ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة].

والتأييد هو: التقوية والتعضيد والإسناد، وهذا يشمل أشياءً كثيرة، ولكن بما أن الله تعالى لَمْ يُحَدِّدْ لنا في كلامه المبين، مُفْرَدَاتِ ذلك التأييد ومضمونه، فمن الأفضل والأسلَم، عَدَمُ الخوض في تحديد مفهومه، اللّهم إلا إذا جاء عن طريق الوحي الثاني (سنة رسول الله ﷺ) ما يُحَدِّدُ ويوضِّح ذلك، وأنا لا أتذكَّر بهذا الصدد حديثاً، ومن المعلوم أن الأناجيل المختلقة لا يُعوَّل عليها، لا في هذا الأمر، ولا في غيره(٢).

---

(١) قال البخاري: عن أسيد بن حضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وَفَرَسُهُ مربوط عنده، إذ جالت الفرس فسكت، فقرأ فجالت الفرس، وسكت وسَكَنَتِ الفرسُ، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجترَّه رفع رأسَهُ إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدَّث النَّبيَّ ﷺ فقال: «**اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير**» قال: فَأَشْفَقتُ يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان قريباً منها، فانصرفتُ إليه، فَرَفَعْتُ رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظُّلَّةِ فيها أمثال المصابيح، فَخَرَجَتْ حتى لا أراها، قال: «**وتدري ما ذاك؟**» قال: لا، قال: «**تلك الـملائكة دنت لصوتك، ولو قرأتَ لأَصْبَحت ينظر الناس إليها لا تَتَوارى منهم**». (صحيح البخاري)، ص (٩٢٧)، رقم: ٥٠١٨.

(٢) إن (روح القدس) هو جبـريل عليه السلام، وهذا واضح وضوح الشمس عندنا نحن=

١٦) نزولُ جبريلَ وَعَدَدٍ من الملائكة إلى الأرض في ليلة القدر من شهر رمضان كل سنة، لترتيب أمور أهل الأرض خلال السنة:

كما قال الله تعالى:

١) ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر].

٢) ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾ [الدخان].

ومن الواضح أن آيات الدُّخان تَتَحَدَّث عن نفس موضوع سورة (القدر) وهو نزول جبريل مع ملائكة آخرين، بإذن الله الحكيم لترتيب كل أمور أهل الأرض، وفقاً لخطة الله العليم الأزلية، إذاً: فـ(كل أمر حكيم) في (الدخان) هو نفس (كل أمر) في (القدر)، و(يُفْرَق) أي: يُفَصَّلُ ويُبيَّنُ ويُرَتَّبُ، وبما أنهم يَنـزِلون إلى الأرض في ليلة قدر رمضان كل سنة، فذلك الترتيب

= المسلمين، ولكن النصارى المحرِّفين لتعاليم عيسى عليه السلام وقعوا في خَلْطٍ عجيب وحيرة حالكة بهذا الصدد، وقاريء الأناجيل الأربعة (متى، مرقس، لوقا، يوحنا) لا يمكنه أن يجزم بشيء في هذا المجال، فلا يدري هل النصارى يقصدون بكلمة (روح القدس) روح عيسى عليه السلام، أو مَلَكاً من الملائكة، أو الله تعالى نفسه!
فَعَلى سبيل المثال يقول شراح الأناجيل بهذا الصدد: (..ولكن من هو روح القدس؟! إن الله أقانيمُ ثلاثة في واحد: الآب، الإبن، والروح القدس، وقد صار الله بشراً في يسوع حتى يموت الرب يسوع من أجل خطايانا، وقد قام من الأموات لِيُقَدِّم الخلاص لكل البشر بالتَّجديد الروحي والولادة الثانية الروحانية، وعند صعود الرب يسوع إلى السماء، لم يَعُدِ المسيحُ يحيا على الأرض بالجسد، ولكنَّهُ وَعَدَ بإرسال الروح القدس حتى يستمِرَّ وجودُه الروحي بين البشر...) انظر (التفسير التطبيقي للعهد الجديد)، ص (٣٣٠)، ط سنة ١٩٩٦.ويقولون في مكان آخر:
(إن الروح القدس هو الله دَاخِلَنا وَدَاخِلَ كلِّ المؤمنين..)، انظر: ص (٣٦٤).
وبناءً على هذه التُّرَّهات: ليس عيسى وحده هو جزء من الله، بل البَشَرُ كُلُّهُم هكذا!!

والتنظيم للأمور، إنما هو لأمور سنةٍ كامِلَةٍ من ليلة القدر إلى ليلة قدر رمضان السنة الآتية، هذا هو ما يبدو، والله هو العليم الحكيم.

١٧) قَبْضُ الأرواح من الأجساد:

وهذه وظيفة أخرى من وظائف الملائكة الكرام، أي بعضهم، وهم مَلَكُ الموت وأعوانه، ومن تحت إِمْرَته من الملائكة، كما قال تبارك وتعالى:

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام].

٢) ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة].

٣) ﴿... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٣٧].

٤) ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال].

٥) ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

٦) ﴿... وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

٧) ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة].

٨) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء].

٩) ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل].

١٠) ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ [النازعات].

ونقتبس من أنوار هذه الآيات المباركات التي هي كل[1] ما ورد من الآيات في مجال الحديث عن قبض الملائكة للأرواح، الأضواء السبعة الآتية:

١ ـ المُتَوفِّي للنفس هو: الله تعالى، وَمَلَكُ الموت، وَالملائكة المعاونون له:

أَجَلْ إِنَّ الله تعالى أضاف وفاة الأنفس وَقَبْضَ الأرواح إلى نفسه، وإلى مَلَكِ الموت، وإلى الملائكة، كما قال تعالى:

أ ـ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...﴾ [الزمر: ٤٢].

ب ـ ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ...﴾ [السجدة: ١١].

ج ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا...﴾ [الأنعام: ٦١].

وَرُبَّما يُخَيَّل إلى ذي النظر السطحيِّ، أنَّ ثـمة تناقضاً، ولكن حاشا ثم حاشا لكلام الله المبين الحكيم، أن يتطرَّق إِلَيْهِ أَدْنَى خللٍ، وَسِرُّ المسألة هو:

بما أن الله تعالى هو الربُّ الـمدبِّرُ لكل شيء، وَلَا يحْدُثُ أَمْرٌ، صغيراً كان أو كبيراً، إِلَّا بإِذنه ومشيئته وعلمه، لذا أضاف الوفاة إلى نفسه.

---

(١) بالإضافة إلى الآية (٢٨) من (النحل): ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ...﴾.

وإضافتها إلى مَلَك الموت، لأنه هو المسؤول الأول والمدير والمشرف.

وإضافتها إلى الملائكة، بسبب مباشرتهم لها بعد صدور الأمر من مَلَكِ المَوْت، الذي يُنَفِّذُ بدوره أمرَ الله رب العالمين جل شأنه.

٢ ـ الملائكة المُوَكَّلون بقبض الأنفس يُنَفِّذون الأمر بدقة بالغة:

وهذا هو الأمر المتوقع من الملائكة حسب أوصافهم التي بيناها في السابق، ولكن يدل عليه أيضاً بوجهٍ خاص، قوله تعالى في الآية (٦١) من (الأنعام) في وصف الملائكة القابضين للأنفس: ﴿...تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، إذ هذا يدلّ على أنهم يقومون بتلك المهمة، بدقة وعناية بالغة من كل النواحي:

من حيث كيفيةُ قَبْضِ النفس بلطف أو شدة.

ومن حيث الوَقْتُ المحدَّدُ واللحظة التي يتم فيها القَبْضُ.

ومن حيث المكانُ المعيَّنُ الذي يجب أن تتم فيه الوفاة.

ومن حيث خطابُهم للنفس المتوفاة.

ومن حيث المكانُ والمستقرُّ الذي يذهبون بها إليه...الخ.

٣ ـ كيفية خروج الرُّوح من البدن:

وهذهِ المَسألة تُوضِّحُهَا الآيات (٨٣ إلى ٨٧) من (الواقعة) وخاصة قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ [الواقعة]، والضمير في (بلغت) راجع إلى الروح والنفس التي يدل عليها السياق.

وكيفية دلالة هذه الجملة القرآنية، على كيفية قبض الروح أو خروجها من البدن، هي:

أن الله تعالى يخاطب الكفرة مُوَبِّخاً إياهم، بسبب عدم إيمانهم قائلاً:

إن كنتم صادقين بأنكم غير خاضعين لسلطاني، إذاً: لماذا لا تمنعون روح أحدكم التي أقبضها، من الخروج من بدنها، فإذا وَصَلَتْ إلى الحُلْقوم فَأَرْجِعوها إلى مكانها السابق في البدن، إثباتاً لصدق ادعائكم!

وَعَلَيْهِ فالحَلْقُ (الحلقوم) هو نهاية مطاف خروج الروح من الجسد، وَنَزْعُ الروح يبدأ بِسَحْبِهَا من أقاصي البدن وأطرافه، مروراً بوسط البدن والصدر، إلى أن تصل إلى القنطرة الأخيرة من البدن وهي الحَلْق!

وهذا مُشَاهَدٌ محسوس، لمن يرى الميت عند احتضاره، ولحظة خروج روحه من الجسد، إذْ تَبْرُد الأطراف شيئاً فشيئاً، وَتَفْقِدُ الحرارةَ والحركةَ والحياةَ، إلى أن يشهق الميت شهقته الأخيرة، وتخرج الروح من الحلق مروراً بالفم.

٤ ـ الملائكة يوبِّخون الكفار عند قبض أرواحهم الخبيثة:

وتدُلُّ على هذه الحقيقة كل من:

الآيات (٣٧) من (الأعراف).

والآية (٥٠) من (الأنفال).

والآيتان (٢٧و٢٨) من (محمد).

والآية (٩٣) من (الأنعام).

٥ ـ وكذلك يُوَبِّخُ الملائكةُ أَهلَ المعصية من المسلمين:

كما تدل عليه الآية (٩٧) من (النساء)، والتي تتحدث عن المسلمين الذين يبقون في دار الكفر، وتحت هيمنة الكفار وحكمهم، ضَنّاً بأرواحهم أو أموالهم، وَمُتَذرِّعين بِتَعرُّضهم للإضطهاد، بالرغم من كونهم قادرين على الهجرة.

وبناءً على هذا، يمكننا القول:

أَنَّ أهل الإسلام أيضاً يَتَعَرَّضون لتوبيخ الملائكة القابضين للأنفس، بِقَدَرِ تَلَبُّسهم بالذنوب والمعاصي كل بحسبه.

٦ ـ الملائكة القابضون للأنفس، يُسَلِّمون على أهل الإيمان والتقوى ويُبَشِّرونهم بالجنة:

وهذا ما صرحت به الآية (٣٢) من (النحل): ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

والآية واردة في سياقٍ كله حديثٌ عن عاقبة أهل الكفر الوخيمة، وعاقبة أهل الإيمان الحميدة.

٧ ـ الملائكة القابضون للأرواح، ينتزعون أنفسَ الكفارِ بعنف وشدة، ولكن يُخْرِجون أنفسَ أهل الإيمان بِرِفْقٍ ولُطْفٍ:

وهذا ما بينته الآيتان (١و٢) من (النازعات)، حيث أجمع المفسرون[١] ـ حسبما أعلم ـ أن المقصود بـ ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾﴾ هو الملائكة الذين يَنْتَزِعون أرواحَ الكفار من أجسادهم بشدة وقسوة، والمقصود بـ ﴿وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ هو الملائكة الذين يُخْرِجُون أرواحَ أهل الإيمان بلطفٍ ولينٍ، إذِ النَّزْعُ هو الجَذْبُ والأخذ بقوة وعنف[٢]، والنَّشْطُ بخلافِهِ، هو أخذ الشيء برفق وتُوءَدَةٍ وخِفَةِ يد[٣].

١٨) توبيخُ أهل النار عند مجيئهم وسوقهم إليها:

كما قال تعالى:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر].

وتوبيخُ الملائكة للكفار الجهنميين يتمثَّل في:

---

(١) أُنظر: (المصباح المُنير في تهذيب تفسير ابن كثير)، ص١٤٧٩، وكذلك انظر: الطبري، ج٢٤، ص١٨٥، والقرطبي، ج١٩، ص١٩٠، والدر المنثور للسيوطي، ج٨، ص٤٠٤.

(٢) مختار الصحاح، ص٥٦٣، لفظ: ن ز ع.

(٣) المعجم الوسيط، ص٩٢٢.

أولاً: في تذكيرهم بمجيء الرسل الكرام المرسلين من ربّ العالمين، وتلاوتهم آياتِ الله المباركات عليهم.

ثانياً: بقولهم لهم: أُدخلوا جَهَنَّم من أبوابها ـ السبعة ـ مِنْ جَرَّاء تكبركم، وجهنَّم بِئْسَ مَكانَ إقامةٍ للمستكبرين عن طاعة الله العزيز الحكيم.

١٩) إستقبالُ أهل الإيمان عند دخولهم الجنة وتَبْشيرهم والسلام عليهم:

كما قال تعالى:

١ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء].

٢ ـ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر].

والآيات الكريمات واضِحَة المعْنى والدلالة، واستقبال الملائكة لأهل الإيمان مُصَرَّحٌ به في قوله تعالى: ﴿... وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ...﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، أي: تستقبلهم وَتُرَحِّب بهم، كما أنَّ تبشيرَهم إيّاهم واضِحٌ في قوله تعالى على لِسانِ الملائكة المستقبلين: ﴿... هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وكذلك في آية (الزمر) يدل على الإستقبال والتكريم، كُلٌّ مِنْ:

أ ـ فتح الأبواب مُسْبَقاً وقبل وصولهم إليها، ويدلُّ عَلَى هَذَا زيادة[1] الواو في: ﴿... وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا...﴾ [الزمر: ٧٣].

---

(١) كما أن عدم وجود الواو، بالنسبة لمجيء الكفرة وسوقهم إلى جهنم، في قوله: ﴿... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا... ﴿٧١﴾﴾ [الزمر]، يَدُلُّ على أَنَّ خَزَنَة جهنم يفتحون أبوابَها فَوْرَ وصولهم إليها، لِيُفَاجَؤُوا برؤيتها!

ب ـ وقولهم لهم: ﴿...فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

كما ويدلُّ على التبشير كُلٌّ مِنْ:

أ ـ قولُ الملائكة لهم: ﴿...طِبۡتُمۡ﴾ [الزمر: ٧٣]، أي: أَصْبَحْتُمْ طَيِّبين، ومَنْ طاب فَلَهُ طوبى.

ب ـ وقولهم لهم: ﴿...فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

٢٠) الكلام المؤيِس مع أهل الكفر، بعد استقرارهم في النار والرَّدِّ على مطالبهم بشدة:

كما قال الله العزيز الجبار ـ جلّ وعلا ـ:

١ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر].

٢ ـ ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف].

كما نرى: في آيتي (غافر) يَلْتَمِسُ أهل النار من خزنة جهنم، أن يدعوا الله تعالى لِيُخَفِّفَ عنهم يوماً واحداً فقط من عذاب جهنم! ولكن الملائكة الخزنة يسألونهم مُوَبِّخين ومُبَكِّتين: أَوَلَم تأتِكُم رسل الله المبعوثون إليكم بالبينات؟ وبما أن هناك لا مجال للكذب والمناورة، يعترفون ويقولون: بلى، وحينئذ يجيبهم الملائكة بقولهم: ﴿...فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [غافر]، ومعنى هذا ـ كما أفهم ـ هو: إنّا لا ندعوا الله دعاءً في غير مَحلِّهِ، ونعلم مُسْبَقاً عدم إجابته تعالى له، لِذا فادعوا أَنتم بأنفسكم، ولكن اعلموا من البداية أن دعاءَكم ليس مصيره سوى الضِّياع!

وفي آيات (الزخرف) وبعد أن يعلن سبحانه وتعالى أن الكفار المجرمين سَيُخَلَّدون في عذاب جهنم، وأنهم لا ينقطع عنهم العذاب،

وييأسون من النجاة منه، ثم يبين تعالى أنه لم يظلمهم هو، بل هم الذين ظلموا أنفسهم، يقول: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ...﴾ [الزخرف: ٧٧]، و(مالك) هو رئيس خزنة جهنم، فينادونه ويلتمسون منه أن يدعو لهم الله ﷻ كي يُمِيتَهُمْ ويُفْنِيهُمْ، ومن ثَمَّ يتخلَّصوا من العذاب، وهذا كما في الآية الأخيرة من سورة (النبأ): ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾﴾.

ولكن يجيبهم (مالك) بجواب مقتضب، يقتضيه جلال الموقف وهوان المجرمين وتفاهتهم من جانب، والطبيعة الخشنة القاسية لـ(مالك) كَمَسؤولٍ أول عن جهنم وتعذيب الكفار فيها، فيقول: ﴿... إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، أي: يجب أن تبقوا على حالكم، فلا تُتْعِبوا أنفسكم بالطَّلَب والإلتماس مرة أخرى!

٢١) السلام على أهل الإيمان بعد استقرارهم في الجنة والثناء عليهم ومدح مكانهم:

كما قال الله الكريم الوهاب تعالى جِدُّهُ:

﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

ونُدْرِجُ ما تدل عليه هاتان الآيتان من حقائق، فيما نحن بصدد البحث فيه في البنود الخمسة الآتية:

١) يجمع الله الكريم لأهل الإيمان شَمْلَ أقاربهم، ما داموا أهل إيمانٍ وصلاحٍ، من أصول: (كالأب والأم والجد والجدة)، وزوج أو زوجةٍ أو زوجات، وفروع: (كالأولاد والأحفاد)، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْۖ...﴾ [الرعد: ٢٣].

٢) والملائكة يدخلون على أهل الجنة للترحيب بهم وتهنئتهم من جميع أبواب الجنة، ﴿... وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣]، ودخول الملائكة على أهل الجنة من جميع أبوابها، يُوحي إلى أنهم

يدخلون بكثرة وازدحام، ومن الواضح أن الضيف عندما يُسْتَقبل وَيرَحَّبُ به، فَكلَّما كان عدد المستقبلين والمرحِّبين أكثر، كان أدلّ على الحفاوة والإكرام له.

٣) وتسليم الملائكة على أهل الجنة: (سلام عليكم) أفضل كلام وأجدره بذلك المقام وتلك الحال، وذلك لأن الناجي من الهلكة أو الشدة ـ ولا شدة أعظم من يوم القيامة ـ أَلَذُّ شيءٍ لديه هو: اطمئنانهُ على دوام السلامة وَعَدمُ ذَهابِها، والملائكة لا يتكلَّمون إلا بإذن ربهم.

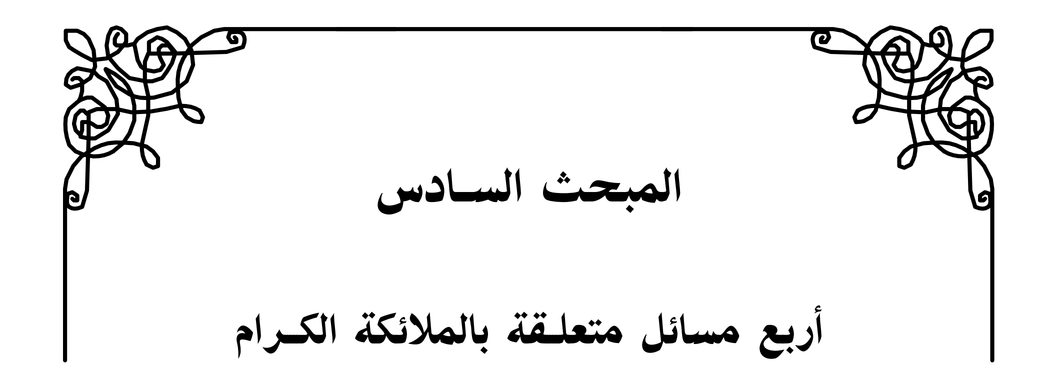
٤) وقولُ الملائكة الكرام لضيوف الرحمن: (بما صبرتم) تقديرٌ منهم لما بذله أَهلُ الإيمان من الصبر: الصبر على الطاعة بإتيانها، والصبر على البلاء والمصيبة بعدم تجاوز حدود الشرع تحت وَقْعِهَا، والصَّبر عن المعصية باجتنابِها، وكذلك هو ثَنَاءٌ منهم عليهم، بسبب حياتهم الدنيا الحافلة بالطاعات.

٥) وقولهم: (فنعم عقبى الدار) مَدْحٌ لمقامهم، ومَحَلِّ استقرارهم، ومعنى (فنعم عقبى الدار) أي: إن هذه الدار (الجنّة) هي أحسن عاقبة وخاتمة نلتموها.

وبهذا نختم هذا المبحث، ونَنْتَقِلُ الآن إلى المبحث السادس.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





المبحث السادس

أربع مسائل متعلقة بالملائكة الكرام

المسألة الأولى: موقف الكفار والمشركين تجاه الملائكة:

ويتمثل موقف الكفار والمشركين تجاه الملائكة الكرام، في خطأين فظيعين، وذلك من جرّاء اتباعهم للظن والهوى، وبعدهم عن الهدى الرباني، المصدر الوحيد للإطلاع على أمور الغيب الذي لا يعلمه إلّا الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ...﴾ [النمل: ٦٥].

الخطأ الأول: نسبةُ الأنوثة إلى الملائكة واعتبارهم بنات الله:

كما قال تعالى في الرد على تلك الفكرة الكفرية الرائجة:

١) ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الصافات].

٢) ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف].

٣) ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾ [الأنعام].

وفي هذه الآيات المباركات أدلة دَامِغَةٌ شَتَّى، لِدَحْضِ تلك الفكرة الخرافية، نَسْرُدُهَا بإيجازٍ في البنود العشرة الآتية:

١ - كيف يُعْقَلُ نسبة البنات (الإناث) إلى الله تعالى، في حين هم (أي الكفار) يستنكفون عنهن، إذاً: كيف ينسبون إلى الله ما لا يرضونَهُ لأنفسهم؟! ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾.

٢ - هل شَهِدَ أولئك الكفارُ خَلْقَ الله للملائكة إناثاً، كي يعرفوا أنوثتهم؟ ﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠﴾؟، هذا في (الصافات)، وقال في (الزخرف) الآية (١٩): ﴿أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ﴾؟!).

٣ - ثم إن القول بأن الملائكة بنات الله ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣﴾ [الإسراء]، يلزم منه القولُ بأن الله تعالى له ولد، وليس هذا إلَّا إفكاً وكَذِباً مفضوحاً: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢﴾ [الصافات].

٤ - ثم على سبيل الفرض حتى لو كان لله تَعَالى وَلَدٌ، فَلِمَ يُفَضِّلُ البناتِ على البنين؟! ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣﴾.

والقصد من هذا الكلام هو تزييف تصورهم الخرافي الذي يستلزم تلك النتائجَ الخاطئة، حتى حسب منطقهم نفسه، أي إن هذا الكلام إدانة لمعتقدهم الخاطئ على أساس منطقهم ذاته، كما يقول: (من فمك أدينك)، وليس المقصود به تفضيل الذكور على الإناث، لأن هذا ما عابَهُ الله تعالى على المشركين وأَدانَهُ، كما في قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩﴾ [النحل]، إذ قوله تعالى بعد ذكر موقفهم الجاهلي تجاه المولود الأنثى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ إدانَةٌ وَاضِحَةٌ لموقفهم.

٥ - ويُوَبِّخهم الله الحكيم جلَّ شأنه، على عدم استعمال عقولهم، فيقول:

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الصافات]، أي إنكم لو تفكرتم بصورة صحيحة، وتذكرتم الحقائق الفطرية وحَكَّمْتُمْ على أنفسكم البديهياتِ العقلية، لما تَفَوَّهْتُمْ بما قلتم أصلاً.

٦ - ثم يسألهم سبحانه بأسلوب الإستفهام الإنكاري، فيقول: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [الصافات]، أي: هل لكم دليل واضح على مُدَّعاكم؟!

ومن الجَليِّ أن السلطان المبين (الحجة الواضحة) ليس في حوزة أحدٍ سوى الوحي المعصوم، ولكن كما قلنا هذا استفهام إنكاريٌّ يقصد به النفي.

٧ - ثم بما أن الطريق الوحيد لمعرفة الغيب - والملائكة من الغيب - هو الوحي الربانيُّ المتمثل في كتابه، يقول تعالى: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الصافات].

ومعنى هذا أَنَّكُم إذا لم تُثْبِتوا صِدْقَ دعواكم بكتاب سماوي حاو لوحي الله المعصوم، فأنتم كاذبون في دعواكم إذاً.

وهذه الأدلَّة كلُّها في الآيات (١٤٩) إلى (١٥٧) من (الصافات).

وفي الآيتين (١٠٠ و١٠١) من (الأنعام) يشير سبحانه إلى ثلاثة أدلة أخرى في نفس الصدد:

٨ - حيث يشير إلى أساسهم الجهلي في تصورهم الخرافي المذكور، بقوله: ﴿... وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنعام]، أي: وافتروا له واختلقوا بنين (من الجن) وبنات (من الملائكة) بغير علم ومعرفة، بل على أساس الجهل والوهم، ولهذا يَصِفُ نفسه سبحانه وتعالى، بكونه مُنَزَّهاً وعَلِيّاً عن تلك التصورات التي يصفونه بها.

٩ - وبقولِهِ تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [الأنعام: ١٠١] يشير إلى دليل آخر وهو: إن كون الله تعالى خالقاً ومُبْدِعاً للسموات والأرض

يجعله بعيداً عن مشابهة المخلوقات من كل جانب، وبالأخص من ناحية التوالد، الذي هو أخص صفات المخلوقين.

١٠ ـ ويشير بقوله: ﴿...أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ...﴾ [الأنعام: ١٠١]، إلى دليلٍ مُفْحِمٍ آخر، وهو أن الله تعالى لا يمكن أن يكون له ولد، لأنه ليست له زوجة، فكيف يولد ولد من غير أم؟!! وهكذا فَنَّد كتابُ الله الحكيم تلك الفِرْيَة الكفرية الجاهلية ببراهين جَليَّةٍ دونها الشمس جِلاءً في الظهيرة.

الخطأ الثاني: عبادة الملائكة، باعتبارهم شفعاء لهم عند الله تعالى:

كما قال تبارك وتعالى بهذا الصدد:

١) ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

٢) ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر].

٣) ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

٤) ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [النساء].

ونقتبس من أنوار هذه الآيات المباركات الأضواء الستة الآتية، فيما نحن بصدده:

١) تَبَرُّؤُ الملائكة عن ولاية عبدتهم الجهلة المخدوعين بوسوسة الشياطين:

كما في الآيتين (٤٠ و٤١) من (سبأ)، حيث يبين سبحانه أنه سيسأل يوم القيامة والحشر، الملائكةَ ـ توبيخاً لعبدتهم الجهلة ـ فيقول: هل هؤلاء يعبدونكم أنتم؟ والمقصود: هل أنتم أمرتموهم بذلك ورضيتم به؟!

والملائكة بعد ما يُنَزِّهونه ويُقدِّسونه، ويُعْلِنون تجريد ولايتهم له سبحانه، يَتَبرَّؤون من عبادة عابديهم وينسبونها إلى شياطين الجن الذين وسوسوا لهم ذلك الضلال وَزَيَّنوه لهم، إذاً: فَتَوقُّعُ الكفرة والمشركين الشفاعة لهم، طمع في غير مطمع.

٢) إن الله تعالى لا يرضى بغير الطاعة والعبادة الخالصة، وَتَذَرُّع المشركين في عبادة غير الله، بأنّها وسيلة لتقريبهم إلى الله ليس سوى كذب وكفر غليظ:

وهذا ما بَيَّنَتْهُ الآية (٣) من (الزمر)، لأن (الدِّين) في الآية يعني الطاعة والإنقياد، و(الخالص) هو المُمَحَّص من الشوائب، والمعنى: إن الله تعالى لا يقبل إلا الطاعة المجردة الصافية من أي كدر.

ويُعَقِّبُ سبحانه على تذرع المشركين في عبادتهم لآلهتهم المزعومة بأنَّها تقربهم إلى الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ فَوَصَمَهُم العليمُ الخبير بثلاث وصماتٍ:

أ ـ اختلافهم في الحق، ومع دعاة الحق، وعدم انقيادهم له.

ب ـ الكذب في ادعائهم أن هدفهم هو القرب من الله، لأنه لو كان هذا هدفَهم، لَسَلكوا (الطريق السوي).

ج ـ الكفر الغليظ، لأن (كَفّار) صيغةُ مبالغةٍ من (كافر).

٣) لو أراد الله اتّخاذَ ولدٍ ـ على سبيل الفرض ـ لاصطفاه من بين

مخلوقاته، لأنه لا وجودَ لِسواه إلا مخلوقاته، ولكن هذا محالٌ على الله الواحد القهار:

وهذا ما بينته الآية (٤) من (الزمر)، ومعنى الآية: أن الله تعالى بما أنه لا يوجَدُ غيرهُ سوى خلقه، فلا يمكن أن يكون له ولد، إذ كل ما سواه مخلوق له لا غير، لِذا فعلى سبيل الفرض، لو أن الله تعالى أراد أن يُسَمِّيَ أحداً ولداً له، لوجب أن يختاره من بين مخلوقاته!

ثم ينفي سبحانه إمكانَ وجود الولد له، بأيِّ حالٍ من الأحوال، بقوله: (سبحانه هو الله الواحد القهار)، وبناءً عليه:

أ ـ فهو (الله) تعالى، والله يمتنعُ عليه الوَلَدُ، لأنه هو الخالق لكل شيء لا يُوجدُ غيره سوى مخلوقاتهِ.

ب ـ وهو (واحد)، والمتصف بالوحدانية المطلقة يستحيل عليه الولد، لأنه لا ثاني له ولا شبيه.

ج ـ وهو (قهار) فأخضع كُلَّ ما سواه لسلطانه، إذاً لا يُوجدُ غيرهُ إلا خلقه المقهور المملوك له، ثم المُحْوِجَ إلى الولد هو الضعف والحاجة والخوف من الفناء، والله تعالى هو الغني والقوي المطلق، وهو حي وقيوم وآخر.

ومن الواضح أَنَّ المقصودَ بالولد هو الملائكة، وكذلك المقصود بالأولياء الذين يتخذهم المشركون ويعبدونهم من دون الله، ليُقَرِّبوهم إليه، أيضاً هو الملائكة.

٤) إن اتِّخاذَ الكفار والمشركين آلهةً إناثاً، لا يستند إلى أي دليل سوى إتباع الظن والهوى:

وهذا ما بَيَّنَتْهُ الآيات (١٩ إلى ٢٧) من (النجم)، إذْ يخاطب الله العزيز الحكيم المشركين بأسلوب الإستفهام الإنكاري التوبيخي قائلاً: أَوَلَمْ تروا ـ بعين العقل والبصيرة ـ آلهتكم الإناث: (اللاَّت، العُزّى، مناة)، كيف يصح في عقولكم وتُسَوِّغونَهُ أن يكون لكم الذَّكَر وتكون لله الأُنْثى، إذ كان

المشركون يعتبرون تلك الآلـهة المزعومة الثلاثة بناتٍ لله، ولهذا أَطْلَقوا عليها أسماءَ إناث، فاللات مؤنث (الله)، والعُزّى مؤنَّث (العزيز)، ومناة مؤنث (منّان)، ثم يقول تعالى مُتَهَكِّماً: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم] أي إنَّ تخصيص أنفسكم بالذكور، وجعل الإناث لله تعالى، قسمةٌ جائرة بكل المقاييس!

ثم يقول تعالى مبيناً الأساس الواقعي الذي استندوا إليه لبناء تلك الفكرة الخرافيـة:

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم].

فليست تلك المعبودات الموهومة إِذَن، سوى أسماءٍ وعناوين مجردة مُتوَارَثَةٍ على مدى أجيال متعاقبة، على أساس التقليد الأعمى ولا يسندها أي دليل رباني، ثم ليس لعبادة الكفرة والمشركين لتلك الآلـهة المزعومة، أساسٌ سوى اتباعهم الظَّنَّ والوهم وما تهواه أنفسهم.

٥) الإنسان لا يُحَصِّلُ بالتمنيِّ شيئاً، والملائكة لا يشفعون إلا لمن يرضى الله تعالى له الشفاعة:

وهذا ما بَيَّنَتْهُ الآيات: (٢٤، ٢٥، ٢٦) من (النجم)، حيث يتساءل سبحانه مُسْتَفْهِماً مُنْكِراً، فيقول: هل الإنسان يحصل على ما يريده بمجرد التمنِّي وَالتَشهِّي؟ والمقصود به تمنِّي المشركين والكفرة، بأن آلهتهم المزعومة ستنفعهم بالشفاعة وغيرها، ثم يقول تعالى: بأن الآخرة والدنيا كلتيهما في حوزة الله وتحت تصرفه، ومن ثَمَّ لا يمكن أن يتصرف فيهما أحدٌ بدون إذنه ومشيئته.

وفي الختام يبين سبحانه أن هناك في السموات ملائكة كثيرون، ولكن ليس بوسعهم أن يُفيدوا أحداً بشفاعتهم، إلا بعد مشيئة الله وإذنه ورضاه.

٦) الأكثرية الساحقة من الكفرة والمشركين يعبدون آلهة إناثاً، من جراء وسوسة الشيطان:

وهذا ما صرحت به الآية: (١١٧) من (النساء)، إذ قال تعالى فيها: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾.

ومن الواضح أن أساس اتخاذ الآلـهة الإناث، هو الزعم بأن الملائكة بَناتُ الله، تعالى الله عما قالوا ويقولون علواً كبيـراً.

وفي ختام هذا الموضوع أقول:

قد يستغربُ بعضُ الناس من كثرة تَطَرُّقِ كتاب الله الحكيم ـ الذي تحت كل كلمة منه، بل حرفٍ، سِرٌّ بل أسرار ـ إلى موضوع الردِّ على المشركين الزاعمين، بأن الملائكة الكرام هم بنات الله!

ولكن (إذا ظهر السَّبَبَ بَطَلَ العَجَبُ) فعندما يَطَّلِعُ الإنسانُ عَلَى تاريخ البشر عموماً، وتاريخ الشرك والوثنية خصوصاً، سواء في اليونان والصين والهند وإيران ومصر، أو في الجزيرة العربية، أو في العراق الذي أقام على ضفاف نهريها الدجلة والفرات، كُلٌّ من السومريين والأكديين والآشوريين والكلدانيين والبابليين، دولاً وحضاراتٍ دامَتْ قروناً كثيـرة، أجل عندما يقرأ الإنسان ذلك التاريخ، يجد أن الأكثرية المطلقة من الأصنام والآلهة المدَّعاة كانت إناثاً، وعند نزول القرآن ومجيء خاتم الأنبياء ﷺ، كانت عبادة تلك الأصنام رائجة جداً في عامة الشعوب، ولكن بعد انتشار الإسلام ودعوته التوحيدية، تَقَلَّص ظِلُّ الفكرة الوثنية عند عموم أهل الأرض كثيـراً، سواء بسبب دخول الناس في الإسلام مباشرة، أو بسبب التأثُّر بالتصورات والقيم التي ينشرها ويُبَشِّر بـها، وأولـها توحيدُ الله تعالى وَنَبْذُ الشرك وعبادة الأصنام.

إذاً: إنْ أردنا أن نفهم كتاب الله الحكيم، سواءً في الجانب الذي نتحدث فيه، أو في أي جانب آخر منه، يجِبُ أن نستحضر في أذهاننا تلك الظروف والملابسات الفكرية والخُلُقية والإجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في العالم، حين نزوله على خاتم النبيين ﷺ، وحينذاك نعرف مدى المسافة والنقلة البعيدة التي أحدثها كتاب الله في حياة البشرية عامة، بالنسبة لما كانت عليه قبل نزوله، وبعد مجيء النبي الخاتم ﷺ.

ثم لا شك أن السبب الأساسي لهذا الإنحراف الفكري العجيب في البشر، تجاه الله تبارك وتعالى ـ أي نسبة الأولاد إليه ـ هو: قياس الغائب على الشاهد، وتَشْبيهُ الله الخالق جل وعلا بخلقه، وتصوُّره كَمَلِكٍ بَشَرٍ، له أولادٌ، وله خدم وحاشية وأعوان!!

ثم الظن والتصور ـ بناءً على تلك الفكرة الخرافية ـ بأنه كما أن الناس لا يمكنهم الإتصال بالملوك مباشرةً، لعلو مكانتهم، بل لا بد من اللجوء إلى مُقَرَّبيه من أولادٍ وحاشيةٍ وأعوانٍ، والتشبُّث بهم للتوسط لهم عند الملوك، كذلك الله تعالى ينبغي لنا أن نَتَقرَّب إليه، من خلال التشبّث بِمُقَرَّبيه والتَوَسُّط بهم إليه!!

أجل، هذا التصور الساذج النّابع من تشبيه الله بخلقه، وقياسه وقياس صفاته العُلَى وشؤونه المُثْلَى، عليهم وعلى أوصافهم وأحوالهم، هو أساس كل الإنحرافات الفكرية المتمثِّلة بالشرك وعبادة الأصنام والتماثيل، ثم الطواغيت والكهنة والسدنة، وقد قال: عبد الله بن عباس ﵄ فيما رواه عنه البخاري ﵀ في هذا المجال قولاً يُؤَيِّد ما قلناه هنا، وَهَذَا نص ما يقوله ابن عباس ﵄ في هذا المجال: «.. وكانت هذه الأسَماء: (وَدٌّ، وَسُوَاعٌ، وَيَغُوثُ، وَيَعُوقُ، وَنَسْرٌ) أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَاباً وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ، عُبِدَتْ» (أَخْرَجَهُ البُخاريُّ برقم: ٤٦٣٦)

أي: أَنَّ سَبَبَ ظهور عبادة الأصنام في الأقوام الغابرة، هو أنه لما مات صالحوهم قالوا فيما بينهم: تعالوا نُصَوِّرُ صُوَرَهُمْ على جدُرُ مَعابِدنا، كي لا نَنْسى عبادتهم لله تعالى واجتهادهم فيها، ثم تطوّر بهم الأمر إلى بناء هياكل وتماثيل لهم في معابدهم، وكان كل ذلك في البداية بقصد تذكُّرهم لعبادتهم وقنوتهم لله، وبعد أجيال شَرَعَ أَخْلافُهُمْ بعبادة تلك الصور والهياكل بدل عبادة الله تعالى.

وقال ابن عباس ﵄ قوله هذا، عند ذكره لأسماء أصنام قوم

نوح عليه السلام (ودّ، سواع، يغوث، يعوق، نسر) وقال: هذه كانت أسماء صالحيهم، ومن الواضح أن قَوْلَ (ترجمان القرآن) هذا رضي الله عنه يفسر لنا سَبَب ظهور جانبٍ ونَوْعٍ من الشرك، وهو الشرك الذي يحصل نتيجة الغلو والإفراط في تعظيمٍ الأنبياء والصالحين.

وأما النوعُ الأشهَرُ والأَعمُّ من الشـرك، والأكثر رواجاً بين الأمم السابقة ـ كما يبدو لنا من التواريخ، ويدل عليه تركيز كتاب الله عليه ـ فهو الشرك المبنيُّ على نسبة الأولاد وخصوصاً البنات إلى الله تعالى، ومن ثم صنع التماثيل والهياكل لتلك الأولاد والبنات الموهومة والتعبُّد لها.

ولكن القاسم المشترك بين كل أنواع الشرك وعبادةِ الأصنام ـ بمختلف أشكالها وصورها ـ هو تعظيم وتقديس مَنْ يُعْتَقدُ فيهم القربُ من الله والحَظوةُ لديه، والتقرب إليهم بأنواع القربات استعطافاً لهم، كي يشفعوا لهم عند الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس].

ولكن يجب أن يكون معلوماً لنا، أن ذلك الإنحراف الفكري، لَمْ يكنْ يَحْدُثُ في حياة شعب من الشعوب أو أمة من الأمم، إلا عندما يبتعدون عن نور الوحي والشرائع الربانية التي يأتي بها الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، كما قال تعالى مشيراً إلى هذه الحقيقة في الآية التالية للآية السابقة من (يونس): ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس]، أي إنهم كانوا كلهم على التوحيد مجتمعين، وبعبادة الله الأحد معتصمين، ولكن بعد ذلك انحرفوا عن جادة دين الله الحق، ووقعوا نتيجة ذلك في الإختلاف والتفرق، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

وعليه:

فلا يجوز الظن ـ بناءً على بعض التواريخ المكتوبة بالإعتماد على

بعض الرُّقَيْمات والآثار الباقية لبعض الأمم الغابرة ـ بأن حَياةَ البشرية كانت كُلّها شركاً ووثنية، ولم يكن لعقيدة التوحيد فيها ذكر ولا أثر! وقد نَبَّهْنا على هذه المسألة في السابق بمناسبة أخرى كذلك ـ في المبحث الأول من الفصل السابع من الكتاب الثاني من هذه الموسوعة ـ.

<u>المسألة الثانية</u>: هل البشر أفضل أم الملائكة؟!

لقد اختلف العلماءُ في هذه المسألة كثيراً، ولهم فيها آراء متباينة، يمكن تَقْسيمُها إلى هذه الآراءِ الأربعة:

١ ـ الملائكة أفضل من البشر بإطلاق.

٢ ـ البشر أفضل من الملائكة بإطلاق.

٣ ـ خواص البشر ـ كالأنبياء ـ أفضل من الملائكة عموماً، وخواص الملائكة أفضل من عوام البشر، وعوامُّ البَشَر أفضل من عوام الملائكة.

٤ ـ رفض المفاضلة بين الملائكة والبشر أساساً، لأنَّهما عالمان متغايران، وإنما يمكن التفاضل بين الأشياء المتماثلة من حيث النوع والطبيعة، وأما المتغايرة فلا.

وبدايةً نُنَبِّه بأن المقصود بالبشر، هم أهل الإيمان فقط، إذ الكفار خارجون عن المفاضلة أساساً، لأن الله تعالى حسم أمر الكفار في هذا المجال، عندما اعتبرهم شر الدواب، وشر البرية، وفي أسفل سافلين، كما قال تعالى:

١) ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنفال].

٢) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة].

٣) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين].

وأنا لا أودُّ الخوض في تفاصيل هذه المسألة التي كما يبدو لم

يَحْسِمْها كتابُ الله الحكيم، لِذا أكتفي بالإشارة إلى أهم ما يمكن الإستدلال به، لكل من تلك الآراء بإيجاز:

<u>الرأي الأول:</u> الملائكة أفضل من البشر بإطلاق:

وأقوى ما يُستَدَلُّ به في كتاب الله لهذا الرأي، هو هذه الآيات وما يشبهها:

١) ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ. . .﴾ [الأنعام: ٥٠].

٢) ﴿. . .فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

٣) ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء].

٤) ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت].

٥) ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

<u>الرأي الثاني:</u> البَشَرُ أفضل من الملائكة بإطلاق:

ومما يُستدلُّ به لهذا الرأي هو هذه الآيات:

١) ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً. . .﴾ [البقرة: ٣٠].

٢) ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [ص].

٣) ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء].

٤) ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب].

٥) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٖ ٤﴾ [التين].

الرأي الثالث: خواص البشر أفضل من الملائكة عموماً، وخواص الملائكة أفضل من عوام البشر، وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة:

وأَحْسَنُ ما يستدل به لهذا الرأي، هو الجمع بين أدلة الطرفين المتعارضين السابقين.

والظاهر أن هذا الرأي الثالث، تجتمع عليه الأَدِلَّةُ كُلُّها، وربما لا يمكننا بدون التفصيل الذي يقول به هذا الرأي الثالث (وهو تفضيل خواصّ البشر على خواصّ الملائكة، وعوامِّهم على عوامهم، وتفضيل خواصّ الملائكة على عوام البشر) أن نجمع بين الأدلة المتعارضة في الظاهر والمُتَّفِقَة في الحقيقة.

وأقول ـ والله هو العليم الحكيم ـ من البعيد القولُ: بأن عامة الملائكة أفضل من عامة البشر، بما فيهم الأنبياء الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ومن ضمنهم آدم الذي أسجد الله تعالى له الملائِكَةَ كُلَّهم! ومن الواضح أن في الأنبياء، من هو أعلى مقاماً من آدم، على جميعهم صلوات الله وسلامه وبركاته، بدليل أن الله تعالى قال عن آدم: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمٗا ١١٥﴾ [طه]، فنفى سبحانه العَزْمَ المطلوب عن آدم ـ في موقفِهِ الذي سَقَطَ فيه ـ، ولكنَّهُ قال لخاتم الأنبياء وَسَيِّدهم آمِراً إياه أن يَأْتَمَّ في الصبر بأولي العزم من الرسول: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ. . .﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وكذلك من البعيد القولُ: بأنَّ عَامَّة البشر ـ أي: أهل الإيمان منهم ـ أفضل من عامة الملائكة، وفيهم جبريل وميكال وملك الموت ومالك وإسرافيل وحملة العرش!

الرأي الرابع: رفض المفاضلة بين البشر والملائكة أساساً لأنهما عالـمان متغايران:

وربّما يكون هذا الرأيُ أَسْلَمَ الآراءِ وأبعَدَها من الوقوع في الخطأ.

المسألة الثالثة: المَلَكَان المنسوبان لـ(بابل): هاروت وماروت:

جاء ذكر هذين المَلَكَيـْن في موضعٍ واحد من كتاب الله، وهو الآية (١٠٢) من (البقرة):

﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة].

وقد تحدَّث المفسرون في قضية (هاروت وماروت) كثيراً، ولكن مع الأسف اعتمدوا في حديثهم على الإسرائيليات الرائجة، والتي تتصادم ـ في معظم الحالات ـ مع بديهيات العقل أو قطعيات النقل، ومعلوم أن مثل هذا لا يجوز الإلتفات إليه أصلاً، فكيف تفسير كتاب الله الحكيم به؟! وقد حاول بعضُ العلماء المعاصرين، تأويلَ الآية وألفاظِها الواضحة بتكلُّفٍ واضح، ومنهم الشيخ محمد عبده المصري رَحِمَهُ اللهُ، هُروباً من تلك الإسرائيليات وظِلالها، حيث أخذ بالقراءة الشاذَّة لِكَلِمةِ (مَلَكَيْن) وقرأَها بـ(مَلِكَيْن)، فجعل المَلَكِيْن شَخْصَيْنِ من البَشَر، وقام بِبَذْلِ جُهْدٍ كبيرٍ لتطويع ألفاظ الآية للمعنى الذي يريده، ولكن حسبما أرى من غير جدوى، والفِرارُ من الإسرائيليات، ليس متوقفاً على مثل ذلك التأويل المتكلَّف.

والذي يبدو لنا من ظاهر ألفاظ الآية الكريمة، من غير تَكَلُّفٍ وتأويل، وكذلك من سياق الآيات كلِّها، بالنسبة لمعنى الآية ككل، ومسألة هاروت وماروت خاصة، هو الآتي باختصار:

إن اليهود اتَّهموا منذ أَمَدٍ بعيد بعد تحريفهم للتوراة، نَبِيَّ الله الكريم

سليمان عليه السلام بأنه كانَ مَلِكاً كغيره من الملوك، ولم يكن نبياً، وإنما نال ما نال من المُلْكِ، عن طريق علم السحر الذي كان يُتْقِنُهُ ـ كما أشار إلى هذا (النيسابوري) في كتابه (أسباب النُّزول)[1] ـ وأصبح ذلك الإعتقادُ الفاسِدُ عن نَبيِّ الله سليمان عليه السلام هو الإعتقاد الرائج في اليهود، ولهذا كان اليهود في (المدينة) عندما يسمعون القرآن يتحدَّث عن سليمان كنبي من أنبياء الله، يُظْهِرون التَعَجُّب ويقولون: لم يكن سليمان سوى ملك كغيره من الملوك، وكان سَبَبَ مُلْكِهِ السِّحْرُ، ولكن (محمداً) يَحْسِبُهُ من ضمن الأنبياء!!

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فقد كان اليهودُ مُولَعين بالسحر، فأراد سبحانه توبيخَهم على صَنيعهم ذلك، وفضحهم به، لكي يرتدعوا عن ادعاءاتهم الزائفة وتزكيتهم لأنفسهم، ويكفُّوا عن المزايدة بالباطل على رسول الله ﷺ والمسلمين، بأنهم أهل الكتاب الأول وأنهم وأنهم... فَبَيَّن سبحانه في الآية التي نحن بصددها، والآيات التي قبلها، مَسْلَكَهُم الباطِلَ الزائف الذي سَمَّوهُ زوراً، تدُّيناً، كما قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ ...﴾ [البقرة: ٩٩ ـ ١٠١].

وهكذا عندما نتَأَمَّلُ الآية الكريمة في سياقها ـ وهذا هو الأسلوب الصحيح لفهم كتاب الله ـ نَجِدُها واضِحَ المعنى، وليس فيها أي لَبْسٍ أو غموض، فالمقصد الأساسي من الآية، هو:

بيان مسلك اليهود في اتباعهم السحر، وأن الشياطين هم الذين كانوا

(١) أسباب النزول، للنيسابوري، ص١٦، ١٧، طبعة دار المنار ـ ١٤٢٢هـ. وينظر: تفسير ابن كثير (١/١٩٥، ١٩٦).

يعلِّمون الناس السحر، وليس نبيُّ الله الكريم سليمان عليه السلام.

والآن بعد أن وضَّحنا الإطارَ العام الصحيح الذي يجب أن يُفْهَم فيه الآية، فَلْنتأمَّل الآية الكريمة جملة جملة:

١) ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: إن اليهود بعد نَبْذِهم كتابَ الله (التوراة) توجَّهوا إلى السحر الذي كانت الشياطين تُرَوِّج له في زمن سليمان، حين كان نبياً مَلِكاً.

٢) ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾، أي: وسليمان لم يكفر ـ كما يروج له اليهود ـ بِتَعَلُّم السحر وتعليمه للناس، بل الشياطين (مردة الجن) هم الذين كفروا بفعل ذلك، حيث كانوا يعلمون الناس السحر ـ الذي كانوا يعرفونه بأنفسهم ـ، والسِّحْرَ الذي أنزله الله على المَلَكيْنِ اللَّذَيْنِ كانا بـ(بابل)، وهما (هاروت وماروت).

ثم يبين سبحانه حكمةَ إنزالِهِ السحر على ذَيْنك المَلَكَيْن اللَّذَيْن اتخذا مدينة (بابل) مقراً لهما، لتعليم الناس السحر فيها، فيقول:

٣) ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، أي: ولم يكن ذانِك الملكان يعلِّمان السحر لأحد من الناس، إلا بعد أن يحذِّرانه قائِلَيْن: إنما نحن ابتلاءٌ واختبارٌ للناس من الله، كي يظهر له مَن الذي يتعلَّم السِّحر رَغْبةً في الدنيا، وتحقيقاً لبعض أغراض دنيوية تافهة، ومَن الذي يرفض تعلُّمَه ويستمسك بهدى الله رغبة في ثوابه ورضوانه، وقوله تعالى: (فلا تكفر) دليل على أَنَّ تعلُّمَ السحر كفرٌ، ومن الواضح أن تَعَلُّمَ السحر شيء، وقراءة كتب السحر للإطلاع عليه شيء آخر، إذ هي تقع في دائرة المباح، ما دام الشخصُ المُطالِعُ آمناً من التأثُّر والتضرّر بسببها.

إذاً:

فقد كان المَلَكَان (هاروت وماروت) مأمورَيْن من الله تعالى، بأن

يقوما بتعليم الناس السحر بعد إنذار وتَحْذير كل من يأتيهما لذلك الغرض، وربما كانت إحدى حِكَمِ ذلك، أن يعرف الناس السحر والسحرة، كي لا يختلط في نظر الناس أمَرُ السحر والسحرة، بأمر المعجزة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويُمَيِّزوا بين الأمرين بوضوح.

٤) ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ وهذا إيضاح لأثر السحر، فيقول تعالى: وكان الذين يتعلمون السحر من المَلَكين المكلَّفَيْنِ بذلك العمل، يستطيعون أن يتسببوا بسحرهم في انفصام عروة الزوجية بين الزوجين.

٥) ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ...﴾ وهذا توضيح لحقيقة أن السحر والسحرة كسائر الأشياء، واقعان تحت هيمنة المشيئة الربانية، لذا فالسحرة ما كانوا يَقْدرون على الإضرار بأحد إلا بمشيئة الله العظيم، وضمن سننه الحكيمة التي وضعها في خلقه.

٦) ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ وهذا بيان لِمآلِ السحر والسحرة، أي: إن السحر الذي كان يتعلمونه، كانوا في الحقيقة يتضرَّرون به ـ حيث يُؤَدِّي بهم إلى الكفر ـ ولا يَنْتَفعون ـ أي المنفعة الحقيقة التي تُعتبَرُ منفعةً في ميزان الله تعالى ـ.

٧) ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: وكان المُتَعَلِّمون للسحر على يد المَلَكين يَعْلَمون ـ بسبب إعلامِ المَلَكَيْنِ وتحذيرهما لهم ـ أن الذي يشتري السحر وتَعَلُّمَهُ، بدفع دينه وإيمانه عِوَضاً عنه، ليس له في الآخرة أدنى نصيب.

٨) ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: ولو كان أولئك المُتَعلِّمون للسحر، يعلمون ما ينتظرهم من عقاب الله وعذابه في الآخرة، لاستيقنوا بأن ما اكتسبوه من السحر، والذي دفعوا أنفسهم ثمناً له، هو أسوءُ شيءٍ وأضره.

ولا شك أنّ المقصود بالعلم في هذه الجملة الأخيرة، هو العلم اليقيني القلبي المثمر للعمل والإلتزام، ولَيْس العلم النظري الذِّهني الذي لا

يؤثِّر في صاحبِهِ، لأن الله تعالى: وصفهم ـ أي المتعلمين للسحر ـ في الجملة السابقة، بكونهم يعلمون: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ. . .﴾ إذاً: فالمقصود بالعِلْمَيْنِ مختلفٌ، وليس شيئاً واحداً.

نَعَم، هذا هو المعنى الواضح الظاهر المتبادر لِلذِّهن للآية الكريمة، وكما نرى: لا تُحْوِجُنا الآيةُ لا إلى التأويلات البعيدة ـ مثل تأويل الشيخ محمد عبده ـ ولا إلى الإسرائيليات والحكايات الخُرافية التي حُكِيَتْ حول الملكين هاروت وماروت والتي مفادُها: أن هاروت وماروت جعلهما الله ابتلاءً منه لهما، إنسانين (رجلين) وركَّب فيهما الشهوة وأنَّهما بالنتيجة سقطا في الإمتحان، لأنهما لم يصبرا عن امرأة جميلة، مُسِخَتْ فيما بعد، عقوبةً لها، إلى نجمة ـ وهي الزهرة ـ، وأما هما فَخيَّرهما الله بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، وإِنَّهما الآن ليُعَذَّبان وسيبقيان فيه، إلى نهاية الحياة الدنيا كفارة لهما!!

إذ هذه الحكاية بالإضافة إلى مصادَمَتِها مع العقل، كذلك تَصْطَدم بالنقل(١) حيث أخبرنا الله تعالى عن الملائكة الكرام، بأنهم لا تَصْدُرُ منهم معصيةٌ أبداً ﴿. . .لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وأما تعليمهما ـ أي هاروت وماروت ـ السحر للناس، فكان بأمر الله تعالى، وكان وظيفةً كسائر وظائفهم التي يقومون بها تنفيذاً لأمر الله تعالى.

المسألة الرابعة: بعض الآيات التي ذُكِر فيها بعض أعمال ووظائف الملائكة، من دون ذكر اسمهم الصَّريح:

وهي الآيات التي ابتُدِأَت بها كُلٌّ من سور: (الصافات)، (الذاريات)، (المرسلات)، (النازعات)، وهي:

(١) ولا تغتَّر بنقل بعض التفاسير المعتبرة ـ كـ(فتح القدير) للشوكاني ـ للقِصَّة المذكورة، إذ جذورها منغرسة في أرض الإسرائيليات.

١) ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤﴾ [الصافات].

٢) ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ٦﴾ [الذاريات].

٣) ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧﴾ [المرسلات].

٤) ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ [النازعات].

والذي يبدو لي في معنى هذه الآيات والمخلوقات التي أقسم الله تعالى بها للتأكيد على حقانية توحيده، كما في (الصافات)، أو مجيء القيامة والبعث والنشور والجزاء، كما في السور الثلاث الأخرى، هو كما يلي:

أولاً: أما بالنسبة لبداية سورة (الصافات) فالظاهر أن كُلاًّ من: (الصافات والزاجرات والتاليات) هم الملائكة الكرام الذين يأتون بالوحي للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، ويكون المعنى هكذا:

أقسم بالملائكة التي تَصِفُّ صفّاً، والتي تَزْجُر وتَرْدَعُ ردعاً الشياطين الذين يريدون الإقتراب منهم، عند نزولهم بالوحي، والتي تَقْرَأُ ذِكرَ الله وكلامَه على أنبيائه، قَسَماً بها: إن إلهكم (معبودكم) الحق، لواحدٌ فَحَسْبُ، وهو الله رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق جل وعلا.

ثانياً: وأما بالنسبة لـ(الذاريات) فالذي أراه أن كُلاً من (الذاريات والحاملات والجاريات والمُقَسِّمات) شيء مُختلِفٌ عن الآخر، وهذا واضح في ظاهر الألفاظ.

أما ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١﴾ فهي الرياح التي تَذْرُو الأشياءَ ذَرْواً، أي: تُفَرِّقُها وتَجْرِفُها.

و﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢﴾ هي السُّفُن الحاملات للأحمال الثقيلة، والوِقْرُ هو الثقل.

و﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣﴾ هي السُّحُب التي تجري بيُسرٍ وسهولَةٍ إلى المستقر الذي حدَّده الله لها، فَتُفْرِغُ فيه ماءَها.

و﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤﴾ هي الملائكة التي تُوزِّعُ ما أمر الله تعالى بتقسيمه.

وجوابُ القَسَم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ٦﴾ [الذاريات]، أيَ: إن ما توعدون به من مجيء يوم القيامة، لصادق لا ريب فيه، وإن الجزاء (العقاب والثواب) لواقع وآتٍ لا محالة.

ثالثاً: وأما بالنسبة لـ(المرسلات) فالظاهر أَنَّ المقصودَ بكل من: (المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات) هو الرياح التي يرسلها الله حسب سننه الحاكمة على الوجود، فَيُرْسِلُها متتابعةً أمواجُها كتتابع وترتيب عُرْفِ الفَرَس، وتَهُبُّ قويةً عاصفةً مُصَوِّتَةً عند اصطدامها بالأشياء التي تَمُرُّ بها، وَتَنْشُر الأشياء وخاصة السُّحُب الممطرة، ثم تُفَرِّقها هنا وهناك.

والمقصود بـ ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥﴾ هي الملائكة التي تُلْقي ذِكْرَ الله ووحيه على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، والحكمة من الإيحاء هي: ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦﴾ أي: إِعْذاراً الناس وإِنْذَاراً لهم، والإعْذار هو جعل الطرف المقابل عديم العذر، والإنذار هو التخويف والتحذير، ولهذا قيل: (قد أَعْذَر مَنْ أَنْذَر)، يعني: مَنْ أَنْذَرَ طَرَفَهُ المقابِلَ، فقد أفقده العُذْرَ، وجعله لا مجال لديه للإعتذار.

وجواب القسم هو: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥﴾ أي: البعث والجزاء الذي وعدتم به، واقعٌ وآتٍ بِلا رَيب.

رابعاً: وأما بالنسبة لـ(النازعات) فمن الواضح أن كلاًّ من: (النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات) هم الملائكة الكرام الذين:

١) يَقبِضون أرواحَ الكفار بِشِدّةٍ وَعِنفٍ، وينتزعونها من أبدانهم انتزاعاً ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١﴾.

٢) وَيَقبِضون أرواحَ أهل الإيمان والطاعة بلطفٍ ولين، فكأنهم يُخْرِجون الشعرة من العجين، أو من اللَّبن ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾.

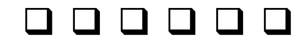
٣) ثم يَسْبَحون في الجو وفي المجالات التي يعبرونها لإيصال الأرواح المقبوضة، إلى الأماكن التي حُدِّدَتْ لها: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣﴾.

٤) وفي حالة سَبْحهم وطيرانهم، يُسْرِعون كالمسابقين لتنفيذ أوامر الله تعالى في مواقيتها المحددة: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤﴾.

٥) وهم يُدَبِّرون الأمورَ الموكولة إليهم بإتقانٍ وإحسان، ومن ضمنها شأن الأرواح: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾.

وجواب القَسَم يُفْهَمُ من السياق الآتي في السورة، وهو حتمية مجيء الساعة والقيامة والحساب والجزاء.

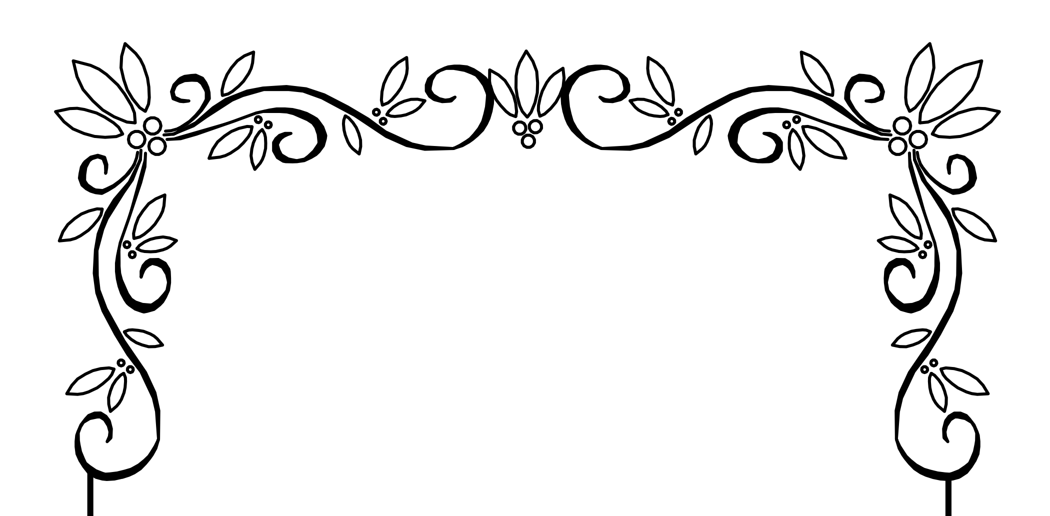
وهنا ننهي الكلام عن الملائكة الكرام وكيفية الإيمان بهم، ونكرِّر القول بأن الإيمان بالملائكة، لا يَتِمُّ بالتصديق بوجودهم فَحَسْبُ، لأن العلم بالشيء والتصديق بوجوده، لا يعتبر الإيمان به، كما وَضَّحْناه في الفصل الأول وكذلك في الفصل الثاني من هذا الباب، ـ أي: الكتابين الثاني والثالث من هذه الموسوعة ـ بل لا بُدَّ من أن ينضاف إلى العلم الصحيح والتصديق الجازم، التفاعُلُ والتعاملُ الصحيح مع الملائكة الكرام، على الوجه الذي بَيَّنَهُ الشرعُ، ولولا أن هذا هو المقصودُ في الإيمان بالملائكة الكرام، لما بَيَّن لنا سبحانه وتعالى كُلَّ هذه الحقائق ـ التي تحدَّثنا عنها في هذا الفصل ـ عن الملائكة ـ، وبهذا نختم الفصل الأول من هذا الكتاب، وننتقل بإذن الله وتوفيقه إلى الفصل الثاني منه، والذي خَصَّصْناه لبحث الإيمان بالجن.





الفصل الثـــاني

الإيـمان بالـجـن



سنتناول موضوع الإيمان بالجن، في المباحث الخمسة التاليـة:

١ ـ معنى الإيمان بالجن، وحكمه.

٢ ـ التعريف بالجن من خلال بيان أوصافهم وأحوالهم.

٣ ـ الجن مثل الإنس مُكَلَّفون بالعبادة لله، وينتظرهم الثواب والعقاب مثلهم.

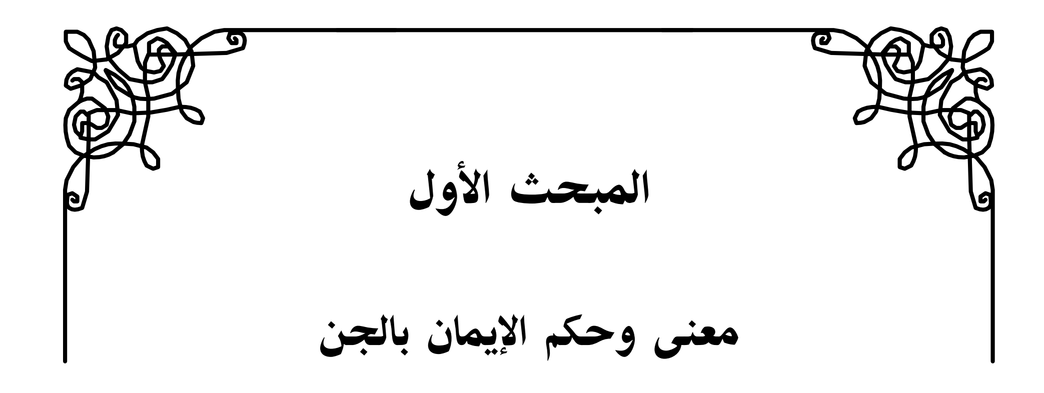
٤ ـ الرسل والأنبياء محصورون في البشر، والجن مثل الإنس مُكَلَّفون باتِّباعهم.

٥ ـ بعض الحِكَم والآداب الرفيعة في مجال التدين لأخوتنا الجن المسلمين.

ونبدأ بالمبحث الأول، بتوفيق الله الكريم جل شأنه:

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





المبحث الأول

معنى وحكم الإيمان بالجن

الإيمان بالجن يعني التصديق بوجودهم كعالم خاص له خصوصياته، والنظر إليهم والتعامل معهم، على أساس ما بَيَّنه لنا الوحيُ المعصوم المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وحكم الإيمان بالجن هو الوجوب، وذلك كحكم الإيمان بأي شيء أَخْبَرَ عنه الوحي، وإن كان غيباً ومستوراً عَنّا، كالروح والبرزخ والجنة والنار وسدرة المنتهى والعرش، وذلك لأن الإيمان بالغيب هو أساس الإيمان والعقيدة في الإسلام، كما وصف الله تعالى في أول سورة البقرة عباده المتقين، بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة].

والغيب هو كل ما غاب عن حواس الإنسان، ولم يتمكن من إدراكه بحواسه.

وعندما نقول: حكم الإيمان بالجن هو الوجوب، لا نقصد بكلمة (الوجوب) ما يقابل (الندب)، بل نقصد به ما يقابل الكفر، إذ من المعلوم أن عدم الإيمان بآية واحدة، أو حكم شرعي قطعي واضح، جاء به كتابُ الله أو سنة رسول الله ﷺ، يعتبر كفراً، وموضوع الجن من المواضيع

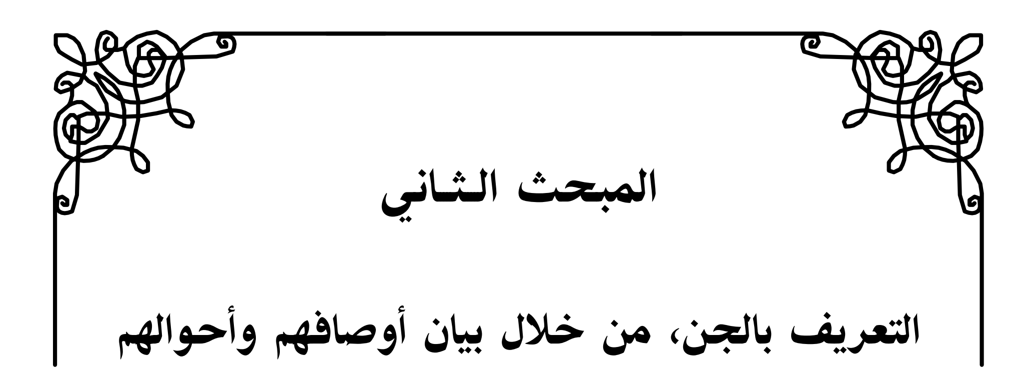
القطعية الواضحة في الإسلام، والتي يعتبر مُنْكِرها كافراً، وقد أنزل الله تعالى سورة كاملة عن الجن وهي سوره (الجن)، هذا عدا ما ذكره سبحانه عن الجن في سورٍ كثيرة، وسنشير إليها في المباحث الآتية.

وإنما وضحت هذه المسألة، لئلا يظن ظان بأن الإيمان بالجن طالما ليس رُكْناً من الأركان الخمسة أو الستة، فلا يضر عدمه! وذلك لأن المقصود بكلمة (أركان الإيمان) ـ والتي هي مصطلح اصطلح عليه العلماء، وليست تعبيراً قرآنياً ولا نبوياً ـ، هو أساسيات الإيمان وكلياته، وليس المقصود بها: كل الذي يجب الإيمان به! إذِ الإيمان بكل ما أخبر الله تعالى به سواء في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، واجب وشرط لصحة الإيمان وتكوينه، وهل الإيمان بالله ورسوله ـ قبل كل شيء ـ إلا تصديقهما في كل ما أَخْبَرانا به؟!

ثم إن الإيمان بكتب الله الذي هو ثالث أركان الإيمان، يتضمَّن الإيمان بالجنِّ وبغير الجِنّ، من الغيوب التي أخبر بها كتاب الله تبارك وتعالى، لِذا فعدم الإيمان بالجن، يعني: عَدَمَ الإيمان: بالله وبرسوله وبكتابه، وإذا لم يكن هذا كفراً فما هو الكفر إذاً؟!

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





المبحث الثاني

التعريف بالجن، من خلال بيان أوصافهم وأحوالهم

وقد تحدث سبحانه في كتابه عن الجن، وَبَيَّن أوصافَهم وأحوالَهم، في آيات كثيرة، حديثاً واضحاً، يجعلنا على بصيرة من أمر الجن، بِقَدَرِ ما هو ضروري ومهم لنا، وهذه بعض الآيات المباركات بهذا الصَّدَد:

١) ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن].

٢) ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر].

٣) ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف].

٤) ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص].

٥) ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن].

٦) ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن].

٧) ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ [الجن].

٨) ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ].

٩) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾ [الناس].

١٠) ﴿. . . شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا . . .﴾ [الأنعام: ١١٢].

١١) ﴿. . . وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

١٢) ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ . . .﴾ [الأنعام: ١٢٨].

١٣) ﴿. . . إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

١٤) ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ . . .﴾ [إبراهيم: ٢٢].

١٥) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].

١٦) ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء].

١٧) ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر].

١٨) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف].

١٩) ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ . . .﴾ [البقرة: ٢٧٥].

٢٠) ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا . . .﴾ [الأنعام: ٧١].

٢١) ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف].

٢٢) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

٢٣) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام].

٢٤) ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف].

٢٥) ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف].

وتُعطينا هذه الآيات، حقائِقَ كثيـرة عن الجن وأوصافهم وأحوالهم، سَنُدْرِجها باختصار في البنود العشرين الآتية، حسب ترتيب الآيات المدرجة أعلاه:

١) الجنُّ خُلِقوا من النّـار:

كما في الآية (١٥) من (الرحمن)، والآية (٢٧) من (الحجر) وغيرها.

٢) الجن خُلِقوا قبل الإنس، أو خُلِقَ أبوهم إبليس، قبل أبي البشر (آدم) عليه السلام:

وهذا ما صرحت به الآية (٢٧) من (الحجر).

٣) إبليس من الجن، بل هو أبو الجن، كما أنَّ آدم عليه السلام أبو الإنس:

وهذا ما تدل عليه الآية (٥٠) من (الكهف) حيث سمَّى الله تعالى الجن ذرية إبليس: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾؟!.

٤) إبليس أبو الجن، لم يسجد مع الملائكة سجدة إكرام لآدم أبي البشر، عصياناً لربه، وافتخاراً وتكبُّراً بسبب أصله الناري:

كما في الآية (٧٣ إلى ٧٦) من (ص)، وبما أننا قد فَصَّلْنا القول في قصة آدم عليه السلام وإبليس في الفصل الثالث من الكتاب الأول، فلا نُطيلُ الوقوفَ أمامها هنا.

٥) الجن مثل الإنس، فيهم الصالح والطالح:

كما في الآية (١١) من (الجن) والتي يتحدث فيها الجن عن أنفسهم.

٦) الجن مُقِرُّون بعبوديتهم لله وخضوعهم لِهَيْمَنَتِهِ:

كما في الآية (١٢) من (الجن).

٧) قسم من الجن آمنوا بالهدى النازل على خاتم الأنبياء، فَورَ سماعهم له:

كما في الآية (١٣) من (الجن).

٨) الجن مثل الإنس، لا يعلمون الغيب الذي انفرد الله تعالى به:

كما في الآية (١٤) من (سبأ)، والتي تُبَيِّنُ أن الجن (أي الشياطين منهم) الذين كان سليمان عليه السلام يستعملهم في أشغال شاقَّةٍ عقوبةً لهم، لم يَطَّلِعوا على وفاةِ سليمان التي مضت عليها مدة، ولم يَتَبَيَّنوها إلا بعد أن سَقَطَ سُلَيْمانُ عليه السلام نتيجة تَكَسُّر العَصى التي كان معتمداً بنفسه عليها، بعد أن نَخَرَتْه الأَرَضَةُ!

٩) الجِنُّ بإمكانهم الوسوسة إلى البشر، وإلقاءُ أفكارٍ سيئة في قلوبهم، وتحريكهم نحو الشّرِّ:

وهذا تدل عليه آيات كثيرة، منها:

أ ـ سورة (الناس) بآياتها الست، والتي يأمر فيها الله تعالى نبيَّه وكلَّ مؤمن من أمته، بالإلتجاء إليه رباً وملكاً وإلهاً وحيداً للناس من شَرِّ الشيطان الموسوس المختفي، الذي يُلْقي بوسوسته في صدور الناس.

ب ـ الآية (١١٢) من (الأنعام).

ج ـ الآية (١٢١) من (الأنعام) أيضاً.

ومن الواضح أن القائمين بالوسوسة من الجن، هم الشياطين الكفرة منهم، مثلهم في ذلك مثل الكفرة من الإنس الذين يقولون السوء ويفعلون الشرَّ، وأما أهلُ الإيمان من الجِنِّ، فلهم شأن آخر، كما سنتحدث عنهم في المبحث الخامس بإذن الله.

وقد سَمَّى الله تعالى الموسوسين بالشرِّ من الجن (شياطين)، تمييزاً لهم عن سائر الجن، كما في الآيتين (١١٢ و١٢١) من (الأنعام)، وآيات أخرى سنشير إليها لاحقاً.

١٠) هيمنة الشياطين من الجن وسيطرتهم، منحصرة في أهل الكفر التابعين الخاضعين لهم:

وهذا الوصف تدلُّ عليه مجموعة من الآيات، منها:

أ ـ الآية (١١٢) من (الأنعام) والتي ذكر الله تعالى فيها كفرة الإنس والجن باسم (الشياطين)، وَبَيَّن أن بعضهم ـ وهم الجِنُّ الشياطين ـ يوسوسون إلى بعضهم ـ أي الإنس الكفرة ـ ، القولَ المُزَخْرَفَ خِداعاً وتغريراً.

ب ـ الآية (١٢١) من (الأنعام) والتي ذكر الله تعالى فيها أَنَّ شياطين الجن يوسوسون إلى أوليائهم من الكفرة، ليجادلوا أهلَ الإيمان بالباطل، فَسمَّى الله الحكيم الكَفَرَة من الإنس (أولياء) الشياطين من الجن.

ج ـ الآية (١٢٨) من (الأنعام) والتي يخاطب الله تعالى فيها يوم

القيامة الجن (أي الشياطين منهم) بقوله: (يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس) أي: قد أكثرتم من إضلال وإغواء الإنس، والمقصود بالإنس هنا هم الكفرة وأهل المعاصي، لأن الله تعالى سَمَّى أولئك المخدوعين من الإنس بوسوسة الشياطين: (أولياءَ الشياطين)، حيث قال في الجُمْلة التالية للجُمْلة السابقة من الآية: ﴿...وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ...﴾ [الأنعام: ١٢٨].

د ـ الآية (٢٧) من (الأعراف) والتي يبين فيها سبحانه وتعالى أنه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون.

هـ ـ الآيتان (٩٩ و١٠٠) من (النحل) واللَّتان يصرح فيهما خالق الجن الإنس، أن الشيطان ليست له سلطة على أهل الإيمان والتوكل على الله، بل سلطته منحصرة في الذين يتبعونه، ويتَّخذونه ولياً ومعبوداً من دون الله بطاعتهم وخضوعهم له.

١١) تَسَلُّطُ الشياطين بالوسوسة، بعيد عن أهل الإيمان الذين يتقون الله حقاً ويتوكلون عليه:

كما صرحت به الآية (٩٩) من (النحل) والتي ينفي فيها سبحانه سيطرة الشيطان وتسلُّطَه، على أهل الإيمان والتوكل على الله تعالى.

ومعلوم أن التوكل ثمرة من ثمار الإيمان، ولازم من لوازمه ما دام الإيمان إيماناً حقاً، ولكن ذُكِرَ هنا تنبيهاً على أَهَمِيَّتِهِ في دفع وساوس الشيطان، وذلك لأن التوكل على وزن (التَفَعُّل) يعني اتخاذ الوكيل، و(التوكّل على الله) هو اتخاذ الله تعالى وكيلا، والوكيل هو من تُوكِلُ إليه أمرَك[١]، وبناءً عليه: فمن توكل على الله تعالى حقاً، ووكَّلَ أموره إليه بصدق، أنَّى يكون للشيطان الإقتراب منه، بَلْهَ الظَّفَرَ به والسيطرةَ عليه!

وكذلك صَرَّحَتْ كل من الآية (٤٢) من (الحجر)، والآية (٦٥) من (الإسراء) اللَّتَين خاطب الله العزيز فيهما إبليسَ اللعين، بعد تهديده ذرية آدم

---

(١) مختار الصحاح، ص٦٢٩، ٦٣٠، لفظ: و ك ل.

بالإضلال والإغواء، بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾، والمقصود بكلمة (عبادي) في الآيتين هم أهل الإيمان الذين يعبدون ربّهم اختياراً، وإلَّا فكل الخلق عبيد لله إجْباراً واضطراراً، كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم].

١٢) قد يظفر الشيطان أحياناً بأهل الإيمان والتقوى على حين غفلة وعلى غِرَّة، ولكن بعد تذكُّرهم لله، يبتعد عنهم الشيطان ويبطل كيده:

كما في الآيتين (٢٠١ و٢٠٢) من (الأعراف) اللَّتَينْ يبين الله تعالى فيهما أن أهل التقوى بعد أَنْ يمر بهم طَيْفُ وسوسة الشيطان، يتذكرون ربهم سريعاً، ويعودون إلى نور الإيمان والتقوى بسرعة، بخلاف الذين سيطر عليهم الشيطانُ، فهو يهوي بهم في هُوَّةِ الغيِّ باستمرار ومن غير تقصير.

١٣) ليس للشياطين غير الوسوسة، وسيلة أخرى للإضرار بالإنس:

كما في الآية (٢٢) من (إبراهيم) والتي يقر فيها إبليسُ يوم القيامة عند مخاطبتِهِ لأتباعه الضالين وتوبيخه لهم، بأنه لم يكن له عليهم سلطان إلا من خلال وسوسته ودعوته إيَّاهم: ﴿...وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وكذلك تدل عليه سورة (الناس) التي عَرَّف الله تعالى فيهما الشيطان بـ(الوسواس) أي الموسوس، وبما أن الله تعالى أمرنا فيها بالإلتجاء إليه والإعتصام به من شر الشيطان، ثم فَسَّر شَرَّهُ بـ ﴿...يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ الناس إذاً: فَشَرُّ الشيطان اللَّعين وذرِّيتِهِ الجِنِّ الشياطين، منحصر في الوسوسة، والوسوسة في أصل اللغة اسم لصوت الحُليِّ لأن صوته خفي، ثم استعملت لكل كلام خفي شر[١]، وخصوصاً كلام الشيطان الذي يُلْقيه في قلب الإنسان الغافل اللاّهي، وَوَصَفَ الله تعالى الشيطانَ

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص٨٦٩. والمعجم الوسيط، ص١٠٣٣.

بـ(الخنَّاس) وهو صيغة المبالغة من (خانِسٍ) أي المختفي المستتر المتراجع، لأن الشيطان يَنْقبضُ ويتراجع ويختفي عند ذكر الله[1]، ثُمَّ يرجع إلى الوسوسة عند الغفلة، كما جاء في حديث النبي ﷺ: «**الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ الله خَنَسَ**» (أخرجهُ إبن أبي شيبه برقم: ٣٥٩١٩ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ).

والشيطان يشبه في عمله السَّيء هذا، وفي انشغاله المستمر بالشرِّ، الذّباب الّذي يُزْعِجُ الإنسانَ بكثرة حركته، والذي لا يقع إلا على الخبيث القذر، وربّما سُمِّي الذُّبابُ: ذُباباً لأنه كلما ذُبَّ آبَ، أي كلما طُرِدَ رَجَعَ، ألا ما أشدَّ الشَّبه بين الإثنين! ولكن أين ضرر الذباب، من ضرر الشيطان الذي يستتبع شقاء الدنيا وخسران الآخرة!

١٤) قد يَصِلُ وقوعُ الإنسان تحت تأثير الشيطان، درجةً يمكنُهُ التلبّس به أو التمثُّل له، ومن ثمَّ جَعْلِهِ يتَخَبَّطُ في قوله وفعله، والذَّهابِ إلى حيث لا يدري:

وتدل على هذا: الآية (٢٧٥ من البقرة)، والآية (٧١ من الأنعام).

إذ يُصَوِّرُ الله تعالى في الآية (٢٧٥) من (البقرة) حال آكلي الرِّبا يوم القيامة ويُشَبِّهُها بحال الإنسان الذي يَمُسَّهُ الشيطانُ (أي يَتَلَبَّسُ به) ويجعله مُتَخَبِّطاً في قوله وفعله، يقال: فلان تكلم فتخبَّط في كلامه، أي جاء بكلام مضطرب غير موزون ولا متناسق، وكذلك يقال للذي يمشي مشيةً غير متزنة: فلان يَخْبِطُ في مشيته خَبْط عشواء[2].

وفي الآية (٧١) من (الأنعام) يُصَوِّرُ الله تعالى حالَ عابدي الأصنام، في حال من اسْتَغْوَتَهُ الشياطينُ وذهبت به بعيداً، وأصْبَح حائِراً وهائماً على وجهه، بالرغم من دعوة أصحابه له أن يأتيهم ويرجع إليهم، ولكنه يذهب بعيداً ويظلّ سادراً في غَيِّه.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٠٠.

(٢) قال الراغب: الخَبْطُ: الضَّرْبُ على غير استواء.. مفردات ألفاظ القرآن، ص٢٧٣.

ومن الواضح أن هذه الحالة لا تَحْدُثُ إلا بعد تَلَبُّسِ الشيطان بالإنسان أو تـَمَثُّله له.

ودخول الجِنِّ عموماً والشياطين منهم خصوصاً، أبدانَ بعض الناس وتلبُّسهم بهم، من الأمور الواقعة الواضحة التي لا تحتاج إلى الإستدلال عليه بكتاب الله[1]، وقد ثبت للناس أن الجن إنما يتمكَّنون مِنْ مَسِّ بعض الناس والتلبس بهم، نتيجة ضعف الإيمان وقلة التقوى عموماً، وفي حالات الضعف خصوصاً، مثل شدة الخوف، والغضب الشديد، وغلبة الشهوة.

١٥) الشياطين يسعون إلى الإقتراب من الملأِ الأعلى للإستماع واستراق المعلومات، ولكن الملائكة لهم بالمرصاد ويرمونهم بالشهب:

كما تدل عليه الآيات (١٦ ـ ١٧ ـ ١٨) من (الحجر)، وكذلك آياتٌ أُخَرُ في (الصافات) و(الملك) و(الجن) وغيرها، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في الفصل الثاني من الكتاب الأول.

١٦) شياطين الجن لا يمكنهم التدخُّل في خبر السماء (الوحي) بتاتاً، لأنهم ممنوعون من السمع:

كما تدل عليه الآيات (٢١٠ ـ ٢١١ ـ ٢١٢) من (الشعراء)، وهذه المسألة نتيجة للمسألة السابقة وثمرة لها.

ومن الواضح أن الوحي انقطع بعد وفاة النبّي الخاتم ﷺ والتحاقه بالرفيق الأعلى ـ أي التحاق روحه المباركة بهم ـ ولكن محاولات الشياطين مستمرة لاستراق كلماتٍ مما يتحدَّث به الملائكةُ، غيرَ الوحي، إذْ توجيهات الله تعالى وأوامره للملائكة، في تصريف شؤون العالم مستمرَّة.

١٧) الجن يروننا، من دون أن نتمكن نحن من رؤيتهم، إلا في حالات شاذّة:

وهذا ما بَيّنه قولُ الله العليم الخبير، في الآية (٢٧) من (الأعراف)

---

(١) ولكن من الخطأ أن يُفسَّرُ كلُّ اضطراب نفسي أو خلل عقلي، بتلَبُّس الجن! ومن العلماء من ينكر دخول الجن والشياطين أبدان الإنس، ولكن لا أرى لإنكارهم هذا وجهاً.

حيث يقول تعالى مخاطِباً إيانا، ومُحذِّراً من أَنْ نقَع في فَخِّ إبليس الذي تسبب بوسوستِهِ لأبوينا، تجرُّدَهُما من لِباسهما من جرّاء الأكل من الشجرة الممنوعة عليهما في الجنّة: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ...﴾ [الأعراف: ٢٧].

والمقصود بالحالات الشاذة التي يرى فيها بعضُ الناس الجِنَّ، هو حالة تَمثُّل الجن، وحالة تَلبُّسهم بالإنسان، وحالة نادرة قد تحصل لبعض الناس.

١٨) الشيطانُ وَمَن لَفَّ لَفَّهُ مِنْ ذُريَّتِهِ، شُغْلُهم الشاغِلُ: عداوةُ الإنس والسعي لإضلالهم:

كما تدل عليه الآيتان (٥ ـ ٦) من (فاطر) اللَّتان يُحَذِّرُ الله تعالى فيهما الناس من الإنخداع بالدنيا وبوسوسة الشيطان الخادع، وَيُخْبِرهُم أنَّ الشَّيطانَ إنَّما يدعو حِزبَهُ المغترِّين به، ليجعلهم معه من أهل جهنم اللاّزمين لها.

١٩) أكثر ما يكون انشغالُ الشيطان مع أهل الإيمان وسعيه ضدهم، عندما يشتغلون بطاعة الله تبارك وتعالى:

ولهذا أمر الله العليم الحكيم جل وعلا نَبيَّهُ الكريم ﷺ ومن خلالِهِ كُلَّ فردٍ من أمته، أن يستعيذ بالله ويستعصم به عند شروعه بقراءة القرآن الذي هو أساس الإيمان والعبادة والطاعة، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل].

وَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ الله ﷺ كيفية الإستعاذة بأكثر من صيغة، مثل:

١) «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[١].

٢) «أعوذ بالله السَّميع العليم من الشيطان الرجيم»[٢].

---

(١) رواه عبدالرزاق في (المصنف) وصحَّحه الألباني في (إرواء الغليل).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه برقم: ٢٤٢، وأحمد برقم: ١١٤٩١.

٣) «أعوذ بالله السَّميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزِهِ ونفخِهِ ونَفْثِهِ»[(١)].

ومن الآيات الدالّة على أنّ الشيطان اللّعين هَمُّهُ الوحيد صَدُّ أهل الإيمان عن الطاعة، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].

٢٠) قد يَتَمَكَّن الشيطانُ من خلال وسوسته، أَنْ يُنْسِيَ الإنسان فِعْلَ الخير:

وهذا ما تدل عليه كل من الآية (٦٨) من (الأنعام)، والآية (٤٢) من (يوسف)، والآية (٦٣) من (الكهف).

أما في الآية (٦٨) من (الأنعام) فيأمر الله تعالى نبيه ﷺ ألا يجلس مع الكفار، في حالة خوضهم في ذكر آيات الله بِسوءٍ وبما هو غير لائق، ثم يقول له: وإذا ما أنساك الشيطانُ في بعض الأحيان وجلست معهم فانهض فور تذكُّرك ـ النهي عن القعود معهم ـ ولا تستمر في الجلوس معهم.

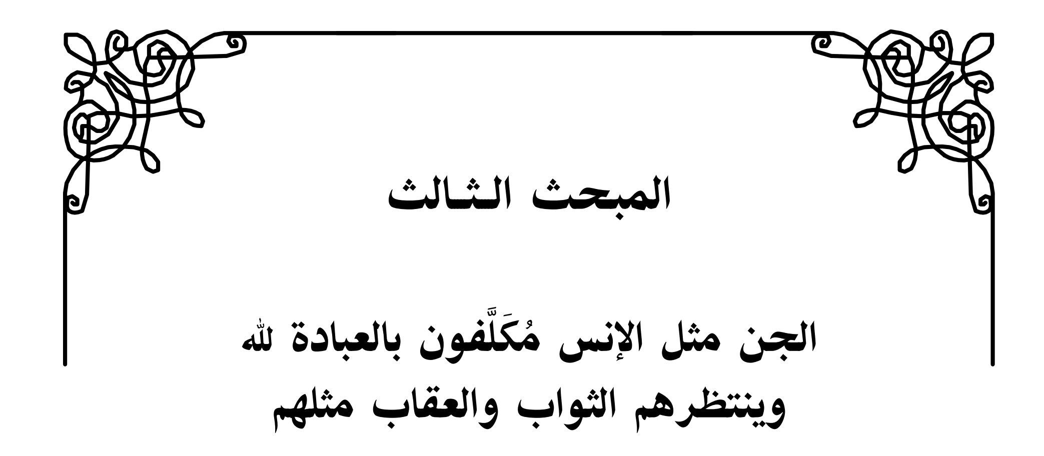
وأما في الآية (٤٢) من (يوسف) فيبين الله تعالى أن الشيطانَّ أنسى رفيق يوسف عليه السلام الناجي من السجن، ذِكْرَ يوسف عند سَيِّده، ومن جَرَّاء ذلك تأَخَّر خروجُ يوسف البريء والمُتَّهَم ظُلْماً من السجن، عدة سنين!

وفي الآية (٦٣) من (الكهف) يذكر الله تعالى أن فتى (غلام) موسى عليه السلام قد نَسَي السمكة التي كان يَحْمِلُها كي يجعلوها طعام غدائهم، حيث قَفَزَتْ إلى البحر وَذَهَبَت، وَنَسَبَ سَبَبَ نسيانه لها إلى الشيطان، حيث قال: ﴿. . .وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ. . .﴾ [الكهف: ٦٣].

نَعَم، فهذه عشرون وصفاً من أوصاف الجن عموماً والشياطين منهم خصوصاً، وسيأتي ذكر المزيد من الأوصاف لهم في المبحث الخامس، ولكن على لسان إخوتنا المؤمنين منهم، وأكثرية تلك الأوصاف يَخْتَصُّ بها أهلُ الإيمان من الجن وحدهم.

---

(١) أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وصحَّحه الألباني.



المبحث الثالث

الجن مثل الإنس مُكَلَّفون بالعبادة لله وينتظرهم الثواب والعقاب مثلهم

أَجَل، إن الجن الذين هم جيرانُنا على أرضنا التي نعيش عليها، ونقضي عليها فترة حياتنا الإبتلائية، وهم كما يشتركون معنا في وطننا الأرض، كذلك يشاركوننا في الوظيفة والغاية، والحكمة التي خلقنا الله الحكيم لها، وهي العبادة لله تعالى، وهذا ما بَيَّنه الله العليمُ الخبير لنا في أكثر من آية، وهذه أمثلة من تلك الآيات:

١ ـ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩) فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ (٦٠)﴾ [الذاريات].

٢ ـ ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ (١٣٠)﴾ [الأنعام].

٣ ـ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢)﴾ [الرحمن].

٤ ـ ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن].

ودلالة هذه الآيات واضحة جداً على أن الجِنَّ مثل الإنس مُكلَّفون بالعبادة لله تعالى وَمُبْتَلُون وَمُمْتَحنون في حياتهم الأرضية التي نَعْيشُها معاً، والتي سَتُطْوى فيها أيضاً صَفْحَةُ حياتنا معاً، وأنهم مثل الإنس ينتظرهم الثواب والعقاب المُتَمَثِّلين في الجنة وفي جهنم، لِكُلٍ حَسْبَ عمله، ووفقاً لنوعية سعيه.

وَلَكِن ما يَجِبُ التَنْبّهُ له هنا، هو:

أن تفاصيل العبادة والطاعة المفروضة على الجن وكيفيَّتهَا، ليست معلومة لنا، هل هي مثل ما كُلِّفْنا بـها، أم بينهما اختلاف، وما هو ذلك الإختلاف؟! هذه الأمور مجهولة لنا، إذ لم يُبَيِّنْه الوحيُ المتمثل في الكتاب والسنة، المصدر الوحيد الموثوق به لمعرفة الأمور الغيبية.

ولكن القدر المتيقَّن لنا هو:

أن الجن مثلنا خُلِقوا لعبادة ربهم باختيارهم، وَمُبْتَلون مثلنا في هذه الحياة الأرضية القصيرة، وأنهم يعيشون معنا على الأرض، ويموتون فيها، ثم يبعثون فيها يوم القيامة، مثلهم في كل هذا مثل البشر سواء بسواء.

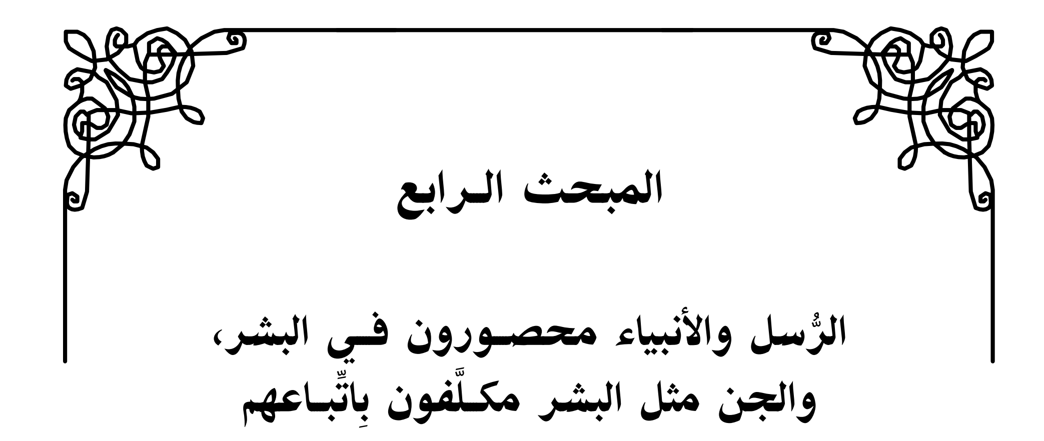
وأن آيات سورة (الرحمن) المباركة البالغة عددها (٧٨) والتي تتحدث عن أمور الدنيا والآخرة، كـرَّر الله الحكيم فيها خِطَابَه المبَارَكَ للجن والإنس: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾! إحدى وثلاثين (٣١) مرة، ست عشرة (١٦) مرة في الجنة ونعيمها، وخمس عشرة (١٥) مرة فيما عداها، لهي أدَلُّ دليل على أن الجِنَّ مشتركون معنا في الدنيا والآخرة، وفي الأفراح

والأتراح، لأن الله تعالى عندما يُعَـدِّدُ نِعَمَهُ الدنيوية والأخروية، عند ذكر كل نعمة يخاطب (الثَّـقَلين) الجن والإنس كليهما قائلاً: بأي نعمـةٍ من نِعَمْ ربكما تكذبان؟!

إذاً: فَنِعَمُ الله الدنيـوية والأخروية، شـاملةٌ لكـلا عالـمي الجـنِّ والإنس.







المبحث الرابع

الرُّسل والأنبياء محصورون في البشر، والجن مثل البشر مكلَّفون بِاتِّباعهم

ومما يدل على هذه الحقيقة، الآيات الآتية:

١) ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام].

٢) ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف].

٣) ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن].

وكيفية دلالة هذه الآيات على أن الرسل والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كُلُّهم من الإنْسِ والجنُّ، مثل الإنس تابعون لهم، وهم لم يبعث فيهم رسولٌ ولا نَبِيّ، هي كالآتي:

أولاً: أما الآيتان (١٣٠ و١٣١) من (الأنعام) فيخاطب الله تعالى فيهما

يوم القيامة الكفار والمنحرفين من الجن والإنس، مُوَبِّخاً إياهم: أولم يأتكم رسلٌ اخترتهم من بينكم، يقرؤون عليكم آياتي ويُحَذِّرونكم من هذا اللقاء في هذا اليوم؟ وبعد أن يُقِرُّون بتلك الحقيقة التي لا يَسَعُهم إنكارُها، يبين الله حكمة بعثة الرسل والأنبياء إلى الإنس والجن، فيقول: فَعَلْنا ذلك لأنه خلاف سنن الله الحكيمة، أن يُهْلِكَ أهلَ المدن والبلاد من جَرّاء ظلمهم وفسادهم، قبل إنذاره لهم وتحذيره إياهم من خلال الرسل ﷺ.

وبما أن الرسل والأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، يجب أن يكونوا معروفين مُعْلَنين، كي تَتِمَّ بهم حجةُ الله على الجنِّ والناس، ثم لم نسمع بوجود نبي ولا رسول في الجن، مثلما يَعْرِف الجِنّ رُسُلَ وأنبياءَ الإنس، إذاً: لا وجود للأنبياء والرسل في الجِنِّ، وإلَّا لذكر الله تعالى لنا أخبارَهم كما ذكر أخبارَ رسل وأنبياء الإنس، أمثال: (نوح، إبراهيم، هود، صالح، شعيب، موسى، داود، سليمان، عيسى) ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، لِكُلٍّ من الإنس والجن.

ثانياً: أما الآيتان: (٢٩، ٣٠) من (الأحقاف) فيتحدَّثُ فيهما ربُّ العِزّة ـ جل وعلا ـ مخاطِباً النَّبيَّ الخاتم، عن إرساله مجموعةً من الجن لاستماع القرآن والتعرُّف على الرِّسالة الخاتمة التي بُعِثَ بها خاتَمُ النبيين محمد ﷺ، ثم الجن المبعوثون إلى خاتم النبيين، بعد رجوعهم إلى قومهم الجن، يُنْذِرونهم ويُبَيِّنون لهم نزول القرآن، بعد الكتاب الذي جاء به موسى سابقاً ـ أي التوراة ـ وكون القرآن مُصَدِّقاً لما قبله من كتب الله، وكونه هادياً إلى الحق ودالاً على الصِّراط المستقيم.. وهذا يَدُلُّ على أن الجِنَّ مثل الإنس لا يعرفون من الكتب الربانية والرسل والأنبياء غير ما يعرفه الإنس، لِذا فلا توجَدُ كتبٌ سماويةٌ، ولا رُسلٌ مبعوثون سوى كتبِ الله المعروفة ورسله المشهورين للجن والإنس.

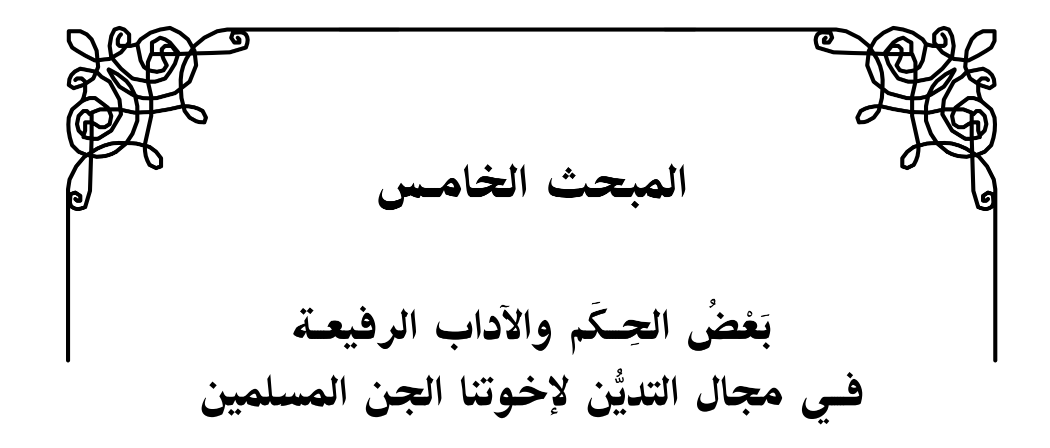
ثالثاً: وكذلك الآيتان (١ و٢) من (الجن) تَدُلاّن على نفس ما دَلَّتْ عليه الآيات السابقة، حيث يأْمُر الله تعالى نَبيَّه الخاتَمَ ﷺ أن يُعْلِنَ بأنه أوحي إليه وأُبْلِغَ من الله تعالى، بأنه قد استمع إليه ـ أي إلى تلاوته للقرآن ـ عددٌ من الجن، قد أَبْدَوْا فورَ استماعهم لكتاب الله، اندهاشهم وانبهارهم

به، وأعلنوا بأنـهم قد سـمعوا قرآناً عجيباً، يهدي إلى الرشد، وأنهم آمنوا به وقَرَّروا ألَّا يُشْرِكوا بربـِّهم الأحد أحداً من المخلوقين.

وسـنـتـحـدث عـن كـل مـن الآيـات (٢٩ إلـى ٣٢) مـن (الأحـقـاف)، والآيات (١ إلى ١٥) والآية (١٩) من (الجن) في المبحث التـالي بإذن الله تعالـى.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





المبحث الخامس

بَعْضُ الحِكَم والآداب الرفيعة في مجال التديُّن لإخوتنا الجن المسلمين

الفقرة الأولى:

١) ونبدأ بالآيات (٢٩ إلى ٣٢) من (الأحقاف) في الفقرة الأولى:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف].

والآن نبدأ بِسَرْدِ ما في هذا الكلام المبارك الذي تكلم به ربُّ العالمين على لسان الجن المسلمين، من الحِكَمِ الإيمانية والآداب الدعوية، في خمسة عشر بنداً:

١ ـ التشوُّق إلى التفقُّه في الدِّين، وتَحَمُّل المشاقِّ من أجله، والبحث عنه بِجدّ في مَظانِّه:

كما يدل عليه قوله تعالى:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

٢ ـ الهُدوءُ والإِنصاتُ عند حضور مجلس العلم والذكر، والإستماعُ بِحِرْصٍ وشَـغَفٍ:

كما قال تعالى عن تصرُّف إخوتنا الجن فَوْرَ وصولهم إلى النبّي ﷺ:

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾.

٣ ـ عَدَمُ الإستعجال بترك المجلس، إلا بعد انقضاء ما فيه من تعليمٍ وذكر. . . إلخ:

ويدل عليه قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم. . .﴾، إذاً: لم يتركوا المجلس إلا بعد انتهاء ما كان فيه.

٤ ـ الشروعُ ببيان الحَقِّ وتبليغه فور استيعابه، وعَدَم التواني عن دعوة الناس إليه:

وهذا واضح في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾.

ولا شكَّ أنَّ العلم إنّما يراد للعمل، ولا خير في علمٍ لا يُثْمِرُ العَمَل في حامِلِه، سواء في ذات نفسه، طاعةً والتزاماً، أو في غيره، إنذاراً وتبليغاً وتعليماً.

٥ ـ التأكيد على أن الرسل الكرام يُصَدِّق بَعْضُهم بَعْضاً، وأنَّ كُتُبَهُمْ لها مصدرٌ واحدٌ:

كما قال تعالى على لسان أولئك الإخوة الحكماء:

﴿. . .قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ. . .﴾.

أَجَلْ إنَّ كُتُبَ الله ورسالاته المباركة كانت كلُّها يُنْبِيءُ ويُبَشِّرُ السابق باللاحق، واللاحق يؤيِّد ويُصَدِّق السابق(١).

(١) وعدم ذكر الإنجيل الذي أنزل بعد التوراة وقبل القرآن، سببه: إمّا أن تلك المجموعة=

٦ و٧ ـ تعريفٌ دقيق عميق لِكتابِ الله بكونه: هادياً إلى الحق من المعتقدات والأفكار والتصورات والقِيَم والموازين، ودَالاً على الصِّراط المستقيم والمنهج القويم، في شرائعِ الحياةَ وأنظمتها:

كما قال تعالى على لسان إخوتنا الجن المهتدين الفاهمين لكتابِهِ المبين:

﴿...قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾.

أَجَل:

إن كتابَ الله الحكيم حاوٍ على الحق المطلقِ، الذي يَحْمِلُه المسلم في عَقْله وقَلْبه، وعلى الصراط المستقيم الذي يسير عليه ويديرُ على أساسِهِ المتين حياته الشخصية والجماعية! ألا ما أَدَقَّ فَهْمَ أولئك الأخوة لطبيعة كتاب الله المجيد، والدين الحق الذي يتمثَّل فيه وفي سنة رسول الله ﷺ.

٨ ـ الشروعُ بالدعوة بعد بيان الحق والتعريف به، بَدْءاً بتوجيه خطابٍ لطيف ونداءٍ رقيق:

كما في قوله تعالى:

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ ...﴾.

ونداء أولئك الدعاة الحكماء قَومَهُم للمرَّة الثانية بـ(يا قومنا) فيه حكمة جليلة، وهي: أن المدعويين عندما يشعرون بأن الداعي مُنْتَمٍ إليهم وليس غريباً عَنْهم، ثم هو يناديهم بتعبير لطيف رقيق، يُشْعِرُ المُقَابِلَ بالحرص عليه، والشفقة والرحمة تجاهه، لا شكَّ أنهم سيتأَثَّرون بدعوتهِ، وسَتَلينُ قلوبهُم أو قلوب بعضهم قليلاً أو كثيراً، لِما للعاطِفةِ من تأثير قويّ على المشاعر، وكذلك الرفق واللين، ولهذا قال رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْق، مَا لَا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي**

= كانت يهودية، أو لأن التوراة هي الكتاب الأساس، والإنجيل جاء مصحِّحاً ومُستدركاً للأخطاء والإنحرافات التي حصلت فيها.

عَلَى مَا سِوَاهُ» (رَوَاهُ مُسْلِم: برقم: (٦٧٦٦)).

٩ و١٠ ـ الإلتمـاسُ من قومهم، أَنْ يستجيبوا لداعي الله، وأن يؤمنوا بالله تعالـى:

وهذا جَليٌّ في قوله تعالى على لسان أولئك الإخوة:

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ﴾.

و(داعي الله) أي الداعي إلى الله وإلى الإيمان به والعبادة له، وهذا يشمل كُلّاً من: (كتاب الله) و(نبيِّ الله) ﷺ، إذ كلاهما داع إلى الله تعالى، وهما متلازمان لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر، وذلك لأن الإيمان بكتاب الله لا بد وأن يَسْبِقَه الإيـمانُ برسول الله الذي يُبَلِّغُه عن الله تعالى ويَحْمِلُهُ إلى الناس، كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿. . .قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ. . .﴾ [الأنعام: ١٩].

وفي تقديم ذكر (الإستجابة لداعي الله) على ذكر (الإيـمان بالله) سِرٌّ لطيفُ، وهو:

أولاً: لا يُعْرَفُ الإيـمانُ بالله تعالى على الوجه الصحيح المطلوب شرعاً، إلا بوحي الله وتَعْليمه، وهذا ما بيّناه في بداية الفصل الأول من هذا الباب ـ أي الكتاب الثاني ـ عند تعريفنا للإيـمان.

ثانياً: الإيـمانُ بالله، إنـما هو ثـمرة الإستجابة لدعوته المباركة وقبولها، وإذا كان الإنس والجن يُجيبون بعضُهم دعوةَ بعضٍ إلى طعام وغيره، فكيف يُرْفَضُ قبولُ دعوة رب العالمين جَلَّ شَأنه! دعوةً يَعقبُها نَيْلُ رضوان الله ودخول جنته!!

١١ و١٢ ـ بيان ثمرة الإستجابة لداعي الله تعالـى، والإيـمان به والتي تتمثل فـي مغفرة الله وإنجائه من العذاب الأخروي، ترغيباً للمدعويين:

كما قال تعالى:

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

والإجارة والحفظ من العذاب الأليم، نتيجة المغفرة، ولهذا أُخِّرتْ عنها، ولَيْسَ في الوجودِ شيءٌ ألَذّ وأطيبَ وأعظمَ للعبد من مغفرة ربه له ورحمته ورضوانه ـ إذ لا يغفر الله تعالى إلا لمن رَحِمَهُ ورَضِيَ عنه ـ، كما قال تعالى: ﴿. . . وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

ثم بعد الترغيب ينتقلون إلى الترهيب:

١٣ و١٤ ـ الذي لا يَسْتَجيبُ لِنداءِ داعي الله، فلا هو ينجو من عقاب الله بنفسه، ولا يَجِدُ من ينصره ويعينه:

كما قال تعالى حاكياً قول أولئك الدعاة الحكماء:

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ. . .﴾.

وهذا تهديدٌ وترهيب وتحذير من رفض دعوة الله المباركة ومن ثَمَّ الكفر به، وتدل هذه الآية ـ من ضمن آيات أخرى ـ أن مسكن الجن ومستقرهم، هو هذه الأرض التي نعيش عليها فحسب، مثلهم في ذلك الإنس، وأما الذين يصعدون منهم إلى السماء لاستراق السمع، فليس فعلهم ذلك سوى سفر قصير يعقبه الإياب السريع، وذلك لمن نجى من الشهب، ولم يَلْقَ حَتْفَهُ في الطريق.

١٥ ـ الذين لا يستجيبون لداعي الله تعالى واقعون في ضلالٍ بَيِّنٍ جليّ:

كما قال تعالى على لسانهم، وفي ختام كلامهم مع قومهم:

﴿. . . أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وهل يوجد ضلال وزيغ وانحراف أَبيْنَ وأجلى من ترك دعوة الله الكريمة، وعدم رفع الرأس بها، مع أنه هو الخالق والرب والمالك والوليّ الوحيد لخلقه، وهو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين؟!

الفقرة الثانية:

٢ ـ والآن ننتقل إلى الفقرة الثانية، لتدبر الآيات (١ إلى ١٥) والآية (١٩) من (الجنِّ):

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن]، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن].

في البداية يأمر الله تبارك وتعالى نبيـّه محمداً ﷺ أن يعلنَ إيحاءَ الله إليه، أنه قد استمع إليه وإلى تلاوته القرآن جمعٌ[١] من الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ . . .﴾.

وربّما الحكمة في هذا الإعلان هي: توثيق ذلك الخبر وتوكيده، ودفعاً لأي شبهة قد تَخْطُرُ في بال أحدٍ من الناس حول ذلك الموضوع، في أي جانبٍ من جوانبه.

ثم يبدأ سبحانه بِسَرْدِ أقوالهم ـ أي الجن المستمعين لرسول الله ﷺ

(١) النَّفَرُ: مجموعة قليلة أو كثيرة، وأمَّا القول بأن النفر بين (٣ ـ ٩)، فهو مفهومٌ عُرفي مُستحدث، لكن صاحب (المصباح المنير) يقول: هم بين ثلاثة وعشرة، ولا يقال لما زاد عن عشرة (نفر)، ص٣١٧.

في أعقاب أول لقاءٍ لهم مع خاتم النبيين، المبعوث كسائر المرسلين للإنس والجن ـ، والتي سَنَسْرُدُها في عشرين بنداً:

١ ـ أول ما يقولونه حول انطباعهم عن القـرآن، هو أنه قرآن عجيبٌ مُدْهِـش:

كما قال تعالى حاكياً قولـهم:

﴿. . . فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا﴾ و(عَـجَباً) مصدر من (عَـجِبَ يَـعْـجَـبُ) والإسم منه (عَجِيبٌ) و(عُجابٌ) صيغة مبالغة منه، ووصف القرآن بالـ(عَـجَبْ) فيه مبالغة بإبراز عجيـبيته، وإفادة أنه هو نفس العَجَب وَمَصْدَره وينبوعُـه.

ولا شك أن أولئك الجن كانوا موفَّقين جِداً باختيارهم تلك الكلمة للتعريف بكتاب الله الحكيم الذي هو فعلاً عجيب ومدهش[1]، بل لا يوجد شيء أعجب وأكثر إثارة للأحاسيس منه، وهذا ليس في جانب أو جانبين، بل في كل جوانبه، وكيف لا يكون هكذا، وهو كلام الله المبارك الذي وصف نفسه بأنه ﴿. . . لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ . . .﴾ [الشورى: ١١]، وكلامُ مَنْ ليس كمثله شيءٌ، ليس كمثله شيء من كلام المخلوقيـن كلهم: ملائكةً وجِنّاً وإنساً.

٢ ـ بعد أن عَرَّفوا القـرآن من حيث هو، ومن حيث ذاتُه، يُعَرِّفونه من حيث الأَثَرُ الذي يتـركه في مُتَّبِعيه، وهو دلالته إياهم على الرشد:

كما قال تعالى:

﴿. . . يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ. . .﴾.

والهداية هي الدلالة على الطريق، والرُّشد ضـد الغَيِّ، فالغَـيُّ يَنْبُعُ عن الضلالة، والرشد يَنْبُعُ عن الهدايـة، والرشيد هو الشخص العارف بالحق والعامل به، كما قـال لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه الفاسدين: ﴿. . . أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [هود: ٧٨].

(١) وقال النبي ﷺ عن القرآن: «لا تنقضي عجائبه» (رواه الحاكم برقم: ٢٠٤٠).

والرشد الـمُعرَّف بالألف واللام هو الرُّشْدُ بـمفهومه الشامل الكامل الذي لا يَشُذُّ عنه جزءٌ منه، وهذا يعني: أن كتاب الله هو كتاب دلالةٍ على كل أنواع الرشد، سواء في مجال العقيدة والفكر والتصور، أو في مجال العبادة ـ بـمعناها الخاص، ـ أو الخُلُق، أو السياسة والحكم، أو المعاملات... إلخ.

٣ ـ العاقِلُ المُنْصِفُ عندما يرى الحقَّ، يأخذ به ويلتزمه، لذا فأولئك الإخوة المهتدون، يُعْلِنون عن إيمانهم بذلك الكتاب العجيب:

كما في قولهم مما حكاه الله عنهم:

﴿...فَـَٔامَنَّا بِهِۦ...﴾.

ويفهم من هذا الكلام الجِنِّي الذي صاغَه الوحيُ الحكيم بأسلوبه المُعْجِز، أن:

أولئك الإخوة لم يؤمنوا بالقرآن، إلا بعد أن سمعوه وفهموه ووقفوا على مَغْزاه ومحتواه، وهذا هو الأسلوبُ السليم للإيمان الصحيح المَبْنيِّ على العلم والفهم.

٤ ـ ثم بما أن التوحيد هو أعظَمُ حقيقة دعا إليها كتابُ الله وأكد عليها، بعد إعلان الإيمان بالقرآن، يُعْلِنون توحيدهم لربهم، وعدم الإشراك به مطلقاً:

كما قال تعالى:

﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾.

و(لن) تفيد النفي الـمؤبَّد، وذكر ربوبية الله تعالى في هذا المقام تنبيهٌ منهم على أن المُستَحِقَّ للعبادة هو الذي له الربوبية والملك والتدبير، وهو الله تعالى فحسب، إذْ كلُّ من عداه مربوبٌ له ومملوك ومسودٌ، ومن لم يكن سَيِّدَ نفسه ومالك أمره، فأنَّى تكون له السيادة والمالكية على غيره!!

٥ ـ بعد بيان الحق والصَّدْع به، يَشْرَعون في دَحْضِ الباطل وَهَدْمِهِ، فيصفون ربَّهم العظيم بالعلو والعظمة، وينفون عنه الزَوجَةَ والولَدَ:

كما في قوله تعالى عنهم:

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾.

أَي: إن شأنَ ربِّنَا ـ جل وعلا ـ وعظمَتَه من العُلُوِّ والسُّمُوِّ، بحيث لا تدرك لهما غاية، وليست لهما نهاية، لذا فلا يليق به اتخاذ الزوجة والولد، كما هو الحال عند المخلوقين ـ أي الإنس والجن ـ الذين يتزاوجون ويتناسلون إِشباعاً للغريزة الجنسية فيهم، وتحقيقاً لامتداد النسل، ولكنَّ الله الأحد الصمد الذي يحتاجه كل شيء، ولا يحتاج إلى شيء، هو فوق هذه الأشياء كلها، والتي جعلها لوازم ضرورية لحياة الجن والإنس.

٦ ـ ثم يصفون أباهم إبليس بالسفيه، لأنه هو الذي وراء تلك السخافات والخرافات والترويج لها:

كما قال تعالى:

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾.

وتعريف إخوتنا المسلمين من الجن أباهم إبليس بكلمة (سفيهنا)، دليل على أنهم يعرفونه حق المعرفة، إذْ كلُّ مَنْ يعصي ربّه، فهو بسبب جهله يعصيه، ولكن مَنْ يعصيه ثم بَدَلَ أن يتوب إليه ويندم على ما فرَّط في جنبه، يعود مُصِرّاً على عصيانه، وَيُبَرِّرُ معصيَتَهُ بما هو أقبح وأشنع منها ـ وهذا ما فعله إبليس ـ، فهو سفيه حقاً، بل لا يوجد أسفه منه! فَلِلّهِ دَرُّكُمْ يا إخوتنا الجنيين، والله لقد عرفتم اللعين حق المعرفة!

و(شططا) أي: بعيداً[١]، والمقصود بالقول البعيد الذي كان إبليس يقوله على الله تعالى ـ حسبما يدل عليه السياق ـ هو نسبة الزوجية والولد إليه، سبحانه وتعالى عما يقوله السفيه اللعين وحزبه الخاسر علواً كبيراً، ومن الواضح أن نسبة الأهل والأولاد إلى الله تعالى ـ كما ذكرنا سابقاً ـ أساسها الفكريُّ، هو قياسُ الله الخالق على خلقه، وهذا هو ينبوعُ الشركيات بِرُمَّتِهَا قديماً وحديثاً.

---

(١) شَطَّتِ الدارُ تُشطُّ وتَشِطُّ شطّاً وشُطوطاً: بَعُدَتْ. مختار الصحاح، ص٣٣٧.

٧ ـ ثم يُبْدون دَهْشَتهم واستغرابهم، من قيام بعض الإنس والجن بافتـراء الكذب على الله تعالـى، ونسبة الأهل والأولاد والشركاء إليـه:

كما قال تعالـى عنهم:

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾.

أي: ما كنا نتصـور بأن يكذب الكفرة من الإنس والجن على الله تعالى، بوَصْفِهِ بـما لا يليق بجلاله وعظمته وعلو مقامه.

٨ ـ ثم يوضِّحون خطأ الإنس ـ أي الكفرة منهم ـ فـي تعاملهم مع الجن، وهو التجاؤهم إليهـم وتعوُّذهم بهم، مع أنهم لم يزيدوهم إلا شراً وتعبـاً:

وهذا بَيِّـنٌ فـي قولهم:

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾.

وهذه كانت عادة الناس فـي الجاهلية، إذْ كانوا عندما ينـزلون ليـلاً فـي وادٍ أو فـي فلاةٍ، يقولون أو يقول كبيـرُهم عنهم: (عُذْنا برب أو بسيد هذا الوادي) أو (يا سيد هذا الوادي قد دخلنا في جوارك).

وبـما أن الشياطين من عادتهم أنه من خافهم وعَظَّمهم ولاذَ بِهِمْ، يفتح لهم المجال كي يستولوا عليه، ويُسَهِّلُ لهم قِيادَهُ، بخلاف من تعوّذ بالله منهم، وتوكل على الله، فإِنَّهم يتصاغرون أمامه، لذا فقد عاد ذلك الفعل على أصحابه بكثير من الضرر والشر، من جانب الجن (أي الشياطين).

وجدير بالذكر أن لجوء الناس إلى الجن والتعوّذ بهم، هو أحد منفذي دخول عبادة الجن على الناس، كما قالت الملائكة الكرام: ﴿...قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ]، والمنفذ الثاني هو اعتقادهم (أي الكفرة والمشركين) بأن الجن والشياطين أبناءُ الله تعالى كما أن الملائكة بناتُهُ! كما قال تعالى بهذا الصدد: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠﴾ [الأنعام]، وقـال: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ

﴿ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٥٨﴾ [الصافات]. أي: ولقد علم الجنّ أنهم سَيُحضَرون (مثل الإنس) للمحاسبة والجزاء، وليس هذا شأن الوالد مع ولده!

٩ ـ ثم يذكرون قاسِماً مشتركاً آخر بين كفرة الإنس والجن، وهو ظن الإنس، كما كان الجِنُّ يظنون أَنَّ الله تعالى لن يُرْسل رسولاً:

كما في قولهم:

﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ٧﴾ [الجن].

وحصولُ ذلك الظن، ربما كان بسبب عدم الإيمان بأصل النبوة وإرسال الله تعالى رسلاً من البشر، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ . . .﴾ [التغابن: ٥، ٦].

أو كان بسبب اليأس من مجيء رسولٍ آخر بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من جرَّاء تطاول تلك الفترة التي انقطعت فيه النبوة مؤقتاً، وهي مدة خمسمائة وثمانين عاماً، من بعثة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في (٣٠) من الميلاد إلى بعثة خاتم النبيين ﷺ في (٦١٠) من الميلاد، لأنه ﷺ ولد في عام (٥٧٠) وفي الأربعين من عُمُرِهِ أُوحيَ إليه، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أُوحي إليه في الثلاثين من عمره كما هو المشهور.

وقد سمَّى الله تعالى تلك المدة المتطاولة انقطاعاً للنبوة، كما قال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [المائدة] .

ويمكن أن يكون (البعث) هنا ـ في الآية (٧) من (الجن) ـ بمعنى البعث بعد الموت أيضاً، ولكن المعنى الأول أكثر انسجاماً مع السياق.

١٠و١١ ـ ثم يتحدَّثون أنهم قد تحسَّسُوا أخبار السماء ووجدوا السماء قد تغيَّرتْ حالُها عما كانت عليها في السابق، حيث مُلِئَتْ بالحُرّاس وبالشُّهُب، ويتذكَّرون حالَهم السابقة، وكيف أنهم كانوا يجلسون في أماكن

منها، للإستماع إلـى أهل السماء (الملائكة)، ولكن الآن من يحاول ذلك فهو يخاطر بروحه، لأنه سَيُرمى بالشهب المرصودة لذلك الغرض:

وكل هذا جلي كالشمس في قولـهم:

﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ۝٩﴾ [الجن].

والمقصود بالحَرَس الشديد الذين ملئت بـهم السماءُ، أو أماكنها التي كان الجِنُّ يستفيدون منها، للتسمُّع إلى أخبار السماء، هم الملائكة الكرام، والشُّهُب جـمع (شِهاب) وهو شعلة نـار، والظاهر أنـها عبارة عن الأجسام المنفصلة عن النجوم والكواكب[1]، كما أن المتبادر إلـى الذهن من الآيات الـواردة فـي هـذا الـمجال، سـواء فـي هـذه الـسورة أو غـيـرهـا هـو: أن الملائكة هم الذين يرمون الشياطين بـهذه الشهب، طرداً لهم من الإستماع.

وواضح من الآيات أن مقصود الجن بوقت استماعهم السابق لأخبار السماء، هي الفترة التي سبقت بعثة خاتم النبيين، والتَغيُّر الحاصل في السماء بتشديد الحراسة فيها، إنما حدث بعد إرسال النَّبِيِّ الخاتم ﷺ، وهذا كان تقييداً للسحرة والكُهّان، وإبعاداً للشبهات حول الوحي الذي يأتـي به جبريل إلى خاتم الأنبياء ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

١٢ ـ ثم يُقِرُّون بجهلهم بسبب حدوث ذلك التغيير فـي أحوال السماء، ويقولون لا ندري هل ذلك التغيير أريد به شَرٌّ لأهل الأرض، أم أراد به رب العالمين خيـرهم وصلاحهم:

كما فـي قولـهم:

﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ۝١٠﴾ [الجن].

---

(١) لأن الله قَلّما ذكر تزيينه السماء الدنيا بالنجوم والكواكب، إلا وأردفه بأنه جعل تلك الكواكب والنجوم وسيلة لحفظ السماء من الشياطين واستماعهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧﴾ [الصافات].

وفي بعض الآثار أن ذلك التغيير في وضع السماء هو الذي دفع الجن للبحث والتفحُّص عما حدث في الأرض، كي يقفوا على سبب ذلك التغيير، وفي النهاية وصلوا إلى النتيجة، وهي بعثة النبي الخاتم ﷺ، والملاحظ أن إخوتنا الجن المسلمين أضافوا (الرشد) إلى الله تعالى، ولكن أحالوا (الشرَّ) على المجهول! وهذا أدب من أولئك الإخوة مع الله العظيم جل شأنه، وذلك لأن إرادة الله وإنْ كانت شاملة لكل شيء، لا يَشُذُّ عنها خيرٌ ولا شرٌّ، ولكن بما أنَّ الله نهى عن كلّ ما هو شرٌّ، وأمر بكل ما هو خير، ثم هو يحبُّ الخير والصلاح ويكره الشر والفساد، لذا لا يجوز إضافَةُ الشرِّ إليه، وفي حديث رسول الله ﷺ: «**الْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**» (أَخْرَجَهُ أَحْمَد برقم: (٩٦٢١)، وَالبُخَارِيُّ برقم: (٤٤٣٥)، وَمُسْلِمٌ برقم: (١٩٤)).

١٣ ـ ثم يصفون حالهم السابقة وكيف أنه كان فيهم الصالح وغير ذلك، وأنَّهم كانوا على مذاهب مختلفة، شأنهم في ذلك شأن الإنس:

كما قال جل شأنه، عنهم:

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن].

١٤ ـ ثم يُبَيِّنون تصورهم السابق عن الله تعالى، وأنهم كانوا مُستيقنين في أنهم لا يمكنهم أن يفوتوه لا في الأرض ولا في غيرها، إذا ما حاولوا الهروب والإختفاء:

كما هو بَيِّنٌ في قولهم:

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴿١٢﴾﴾ [الجن].

وكلمة (الظن) يختلف معناها بحسب السياقات الواردة فيها، وهذا واضح لمن تأمل تلك السياقات التي قد يَرِدُ فيها (الظنُّ) في مقام المدح والثناء، أو في مقام الذم والتجريم، مثل قوله تعالى في مدح المصلين الخاشعين، والمجاهدين الصابرين:

١ ـ ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ

﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ٤٦﴾ [البقرة].

٢ ـ ﴿... قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقال في الكفرة والمشركين الذين لا يَتَّبِعون سوى الظنون والأوهام والأهواء:

١ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ٢٨﴾ [النجم].

٢ ـ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ [يونس].

١٥ و١٦ ـ ثم يبيِّنون موقِفَهم تجاهَ الهُدى الذي جاء به خاتَمُ الأنبياء محمدٌ ﷺ، بأنهم آمنوا به فَوْرَ اطِّلاعهم عليه من غير تَلَكّؤٍ، ثم يُبَيِّنون ثمرة الإهتداء والإيمان بأن المؤمن المهتدي بهدى ربه، لا يخاف لا فوت الثواب، ولا لحوق العذاب:

كما في قولهم:

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ١٣﴾ [الجن].

(البخس)[1] هو النقص، قال تعالى في عدم التقليل من شأن ما للآخرين من أشياء وعدم انتقاصها: ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الشعراء: ٨٥].

و(الرهق)[2] الظلم والسَّفه والجهل والعجلة والكذب.

ومن الواضح أن أفضل الأحوال بالنسبة للإنسان، هو أن يكون آملاً

(١) البَخْسُ: نَقْصُ الشيءِ عَلَى سَبيل الظلم، مفردات ألفاظ القرآن، ص١١٠.

(٢) رَهِقَ فلانٌ يَرْهَقُ: سَفِهَ، وَحَمِقَ، وَجَهِلَ، وَرَكِبَ الشرَّ وَالظُّلْم، وَغَشِيَ المَآثم، وكَذَبَ وَعَجِلَ، المعجم الوسيط، ص٣٧٨.

في الخير، فلا يخاف فَوْتَهُ، وآمناً من الشرِّ، فلا يتوقَّع لُحُوقَه، ولـهذا وصف إخوتنا الجن المسلمون، المُؤمِنَ بربـه الكريم، والمهتدي بـهداه المستقيم، بكونه غيـر خائفٍ من بَخْس الثواب، وَرَهَقِ العذاب.

١٧ و١٨ و١٩ ـ وفـي الختام يُبَيِّنون موقِفَهم الحالي ـ كعموم الجن بعد بعثة محمد خاتم النبيين ﷺ ـ بأن منهم مسلمين، وكذلك منهم كفرة ظالمون، ثم يوضِّحون عاقبة كل من الفريقين: المسلمين والكافرين، بأن المسلمين هم الذين بَحَثُوا عن الحق فوجدوه في مَظانِّه، واتَّبعوه فأصابوا الرشد والصلاح، ولكن الظالميـن الذين ظلموا أنفسهم وظلموا الحق، فمصيرهم أنهم يُصْبِحون وَقودَ نار جهنم:

وكلمة (تَحرَّوا) يعني فَتَّشوا وبَحَثوا بِجِدّ واهتمام[١]، ومن توجه إلـى الله بصدق والتمس منه الهداية والتوفيق، فسيهديه الله الكريم ويُعيْنُـهُ، كمـا قـال تعـالـى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت]، وكلما كان العبدُ أَصْدَقَ وَأخلَصَ في توجُّهه إلى الله والتماسه الهداية منه، كان نصيبه من التوفيق والعناية الربانية أوفر.

ووصف المسلمين وتعريفهم بكلمة (أسلموا)، والكافرين بـ(القاسطون) للتنبيه على أن الخطوة الأولى من الإيمان والإهتداء بدين الله الحق، هو الإستسلام والإنقياد لله تعالى قلباً وقالباً وباطناً وظاهراً.

كما أن بداية الكفر، هي ظلم الكافر لنفسه بحرمانها من هداية الله، وظلمه للحق الذي أنزله الله على أنبيائه ورُسُلِهِ ـ عليهم الصلاة والسلام ـ برفضه إياه وعدم قبوله والإستسلام له، أجل: فخير ما في المسلم، هو خضوعه وانقياده لله، وشرُّ ما في الكافر، هو ظلمه وجورُهُ وانـحرافه عن جادة الحق.

---

(١) مختار الصحاح، ص١٣٣، مادة: ح ر ا.

٢٠ ـ ونختم هذه الحكم والآداب الرفيعة لإخوتنا الجن المسلمين بوصف الله تعالى لهم مُبيِّناً حرصَهُم الشديدَ على طلب الهداية ومعرفة الحق، بأنهم لما جاؤوا إلى رسول الله وعبده المختار ﷺ في حالة قيامِهِ بالدعوة إلى الله، أو في حالة دعائه لله قائماً، كادوا من شدة الزِّحام والحِرْصِ على القُرْبِ منه أن يركب بعضهم ظهر بعضٍ، ويصيروا متراكمين بعضهم على بعض:

كما قال تعالى:

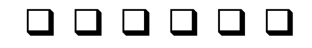
﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩﴾ [الجن].

و(لبداً) أي: متراكمين، وسمي اللباد المصنوع من الصوف والوَبَرِ، لباداً أو لَبَداً، لتَلبُّد أجزائه بعضها على بعض وتراكمها[١].

وأردتُ بِسَرْدِ هذه الحكم والآداب لإخوتنا الجن، علاوة على المزيد من التعرف على أوصافهم وأحوالهم، بيان أن أولئك الإخوة، يتمتَّعون بكثير من العقل والحكمة والأدب، وذلك عندما يهتدون بهدى الله ويتنورون بنور القرآن، ويحيون بروح الإيمان، مثلهم في ذلك مثلنا نحن البشر.

ومن الجَليِّ أن أبُوَّةَ إبليس اللعين للجن، لا تَضُرُّهم ما داموا مؤمنين، كما أن بنوة بني آدم لأبيهم آدم عليه السلام، لا تَنْفَعُهُم إذا اختاروا أن يكونوا كافرين.

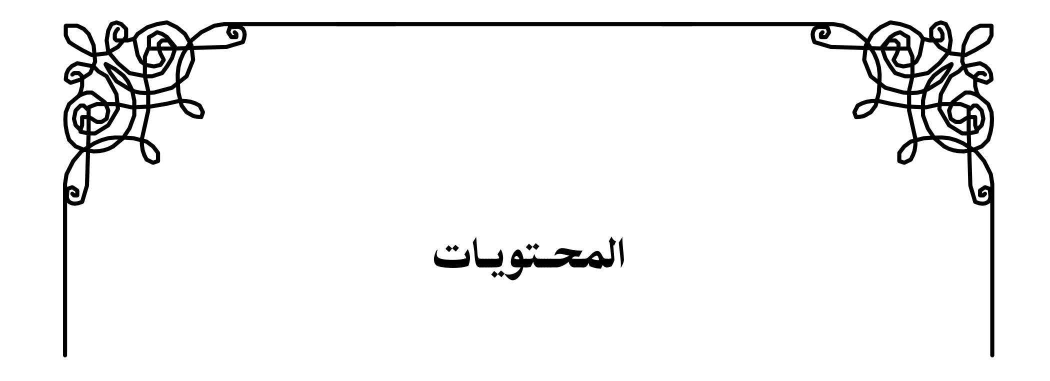
وبهذا نختم هذا الفصل الثاني، وبه نختم هذا الكتاب الرابع كله.



---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص٧٣٤.


ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر
إعلام مكتب الأمير
Ameer's Press Office
/AliBapir
/AliBapir
/MediaAmeerOffice



المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

